عماد الدين خليل

الحصار القاسي

مأساتنا في أفريقيا

وثائق من تاريخنا المعاصر

مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٢٩٥٥٠١ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

الحصار القاسي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى مجاهدي فتح واريتريا وتشاد وموزامبيق
وأنتم تقاتلون على الدرب الواحد بالعقيدة
الواحدة من أجل المصير الواحد .

إيضاح

يرصد هذا البحث مجريات الصراع بين الاسلام والقوى المضادة في الساحة الافريقية حتى سنة ١٩٧٠ ..

ولقد جدت في افريقيا ، طيلة السنوات التي تفصل بين إنجاز هذا البحث وبين سنة نشره ، أحداث خطيرة ، ودخلت الميدان قوى جديدة ، كانت قـــد قدمت من الشرق ، وأطلت برأسها في الستينات ، على استحيـــاء ، ثم ما لبثت أن ثبتت أقدامها ورمت بثقلها محدثة تغييراً شاملاً في موازين القوى ، أخذ يتضح أكثر فأكثر ، عبر التغيرات الدراماتيكية العنيفة التي شهدها ، ويشهدها ، القرن الافريقي منذ تقليم أظافر سبط يهوذا في أثيوبيا ، ثم عزله ، وانتهاء بالصراع التحريري الواسع الذي يقوده ثوار اوغادين واريتريا المسلمتين لتحرير أراضيهم من قبضة الطاغوت الحبشي الذي سيظل يحمل في دمه حقداً تاريخياً عميقاً إزاء كل ما هو اسلامي ورغبة عاتية في استئصاله .. وسيظل هذا الطاغوت يعاني من عقدته (الطائفية) مهما تقلب هنا وهناك .. ماداً يديـــه إلى الغرب حيناً وإلى الشرق حيناً ..

(المؤلف)

المقدمة

إن الحركة الإسلامية تجابه اليوم في افريقيا مآسي – ولا أقول مشاكل وعقبات – تدمى لها القلوب وتتفتت الأكباد . ان هذا الحقل الأسود الواسع الذي شهد نشاط الحركات الإسلامية طيلة القرون الماضية منذ أن خفقت رايات « عمرو بن العاص » على حدود سيناء واجتاحت خيوله ضفاف النيل ، وفيما بعد حيث وقف « عقبة بن نافع » وقفته المشهورة على سواحل بحر الظلمات وأقسم ان لو علم أرضاً وراءه لخاضه اليها .. وفيما بعد حيث قام الادارسة والمرابطون والموحدون – عن طريق تنظيماتهم الدقيقة وأجهزتهم المحكمة – بنشاط واسع في ميدان الدعوة في قلب افريقيا .. وفيما بعد حيث نشط الدعاة – تجاراً وزهاداً وعلماء – في توسيع مجال عملهم والتوغل إلى مساحات جغرافية أبعد وأوسع .. وحق قيام الحركات

الصوفية الكبرى في القرن الماضي ومطلع القرن الأخير باتمام الدور والسير على الطريق ..

هذا الحقل العظيم الذي فتح قلبه وصدره لتدفق التيار الإسلامي الذي راح ينساح على مساحـــات واسعة من افريقيا في الشمال والشرق والغرب ، وفي قلب الغابات والأنهـار العظيمة .. ومن ثم تجمعت روافـده الغنية في مجرى واحد تحرك صوب الجنوب ليغطي بشهادة « لا إله إلا الله » ونورها المساحات التي لا زالت تعيش في ظلام الشرك والجهل والوثنية .. هذا الحقل سرعان ما تناوشته القوى الدينية والسياسية والاقتصادية للعالم الحديث ، تلك التي كانت تتربص به زمناً طويلاً ، والتي بذلت محاولات مضنية من أجل الاستئثار بشعوبه وأقوامه ، والتي تمكن بعضها – بقوة السلاح – من السيطرة العسكرية على معظم أطرافه .. إلا أنها سيطرة لم تكن تشكل خطراً كهذا الذي تشهده افريقيا اليوم ، حيث وجدت هذه القوى فيها مزرعة خصبة لبذر أهدافها البعيدة وحصاد أطماعها السوداء ، بعد أن تمكنت من إيقاف تدفق التيار الإسلامي عن الجريان في مجاريه العميقة المحتومة ، وبعد أن أصابت بالشلل قواه الفعالة ، وبعد أن سحقت بالإرهاب والتجويع الألوف من أتباعه ودعاته .

إن هذه القوى لا يقف خطرها عند حد إيقاف المد

الإسلامي فحسب ، بل يتعدى هذا الموقف السلبي إلى الهجوم.. الهجوم لانتزاع شهادة التوحيد من القلوب والعقول .. ولتمزيق الرايات المرفوعة عالياً في جبال افريقيا ووهادها وغاباتها .. في بحيراتها وانهارها العظيمة .. وها نحن نجد اليوم الحصاد المر لهذه المحاولات الهجومية للقوى الحديثة. إذ يبدو أن المسلمين في معظم أقطارهم الافريقية قد جردوا – أولاً – من أسلحتهم السياسية والعسكرية ، ثم تبع هذا تحطيم لوسائلهم المعاشية والاقتصادية ، وتجريدهم من امكانياتهم الثقافية .. واليوم نشهد مرحلة تحطيم العقيدة الاسلامية نفسها ، وارتداد أعداد من المسلمين عن بيعتهم لله ورسوله !!

وإذا ما جئنا لدراسة وتحليل هذه القوى الحديثة ، لتصنيفها وادراك أهداف كل منها وخططه وأساليبه فاننا سنجد امامنا قوى ثلاث ، لكل منها من الامكانيات والفاعلية ما هو كفيل بتوجيه ضربات قاتلة للوجود الإسلامي في مساحات واسعة من افريقيا . وهذه القوى الثلاث هي : الاستعمار بشكليه القديم والحديث ، الصيهونية ، ثم التبشيرية الصليبية .

ومـا هذا البحث الموجز سوى دراسة (وثائقية) للمواجهة ، المعلنة والخفية ، التي يشهدها المسلمون في افريقيا تجاه هذه القوى . وقد رجعت فيها إلى عدد كبير

من النصوص والتصريحات والتعليقات الصحفية ونشرات الاخبار والمقابلات الحيـة والخطب السياسية ، والنشرات السرية والعلنيـة ، والكتب والابحاث والدراسات العديدة التي نشرت حول هـذا الموضوع . وقد تعمدت أن أرجع في أحيان كثيرة إلى مصادر الهجوم الثلاثي نفسها : صحافة وإعلامـاً وتصريحات وكتباً وأبحاثاً ، لالتقاط الحقائق مباشرة وهي تصدر عن أصحابها . وهكذا سنجد في هذا البحث الكثير من تصريحات لزعمـاء تلك القوى وكبار مسؤوليها من ساسة وعسكريين ورجـال دين ، وتعليقات لصحفيين غربيين استعماريين وصليبيين وصهاينة ، وأخباراً من اذاعاتهم نفسها ، وخطباً وأبحاثاً ودراسات صدرت لكي تعبر عن وجهة نظرهم ، وعن المخططات التي اعتزموا العمل بموجب خرائطها الدقيقة المحكمة . كما رجعت في الوقت نفسه إلى مصادر المسلمين الافارقـة أنفسهم ، أولئك الذين يعـانون المحنة ويكتوون بنارها ، وينقلون كشهود عيان ما يجري فعلاً في قارتهم السوداء .. فضلاً عن عدد من الشواهد التي صدرت عن بعض زعماء افريقيـا المعاصرين ، أولئك الذين جيىء بهـم إلى كراسي الحكم لكي ينفذوا – بالحرف – ما طلبته منهم سلفاً تلك القوى الثلاث .

ولقد وفر علي الكثير من الجهد تلك الصحف والمجلات

الاسلامية ، وبخاصة (المسلمون) و (حضارة الاسلام) و (الشهاب) و (المجتمع) و (البلاغ) ... التي تولت - بأمانة وموضوعية واخلاص - نشر عدد كبير من التصريحات والمقابلات والنشرات والرسائل والتقارير ، ترجمت بعضه عن لغات الغرب ، وجاءت ببعضه الآخر عن مصادره المباشرة ، وثبتت قسمه الثالث عن شهود عيان جاسوا في بلاد القارة وجاءوا ليحدثونا عما شاهدوه وسمعوه .

ومن أجل أن أكون أكثر موضوعية لم أفعل سوى أن نسقت هذه الحقائق والشهادات ، وعرضتها بالشكل الذي يوضح لنا جميعاً أبعاد المؤامرة الخطيرة على الوجود الاسلامي الافريقي ، مع تعليقات موجزة وإيضاحات بسيطة هنا وهناك . وأحب أن أنبه القارىء - هنا - إلى أن ما سيجده من حقائق وشهادات في هذا البحث ، لم أثبتها على سبيل الحصر والشمول وإنما كأمثلة ونماذج محدودة لمئات ، بل ألوف ، غيرها يمكن أن يلتقي بها كل يوم وفي كل ما يكتب ويذاع عن تاريخ افريقيا المعاصر .

وقد جاءت هذه الدراسة في فصلين وخاتمة . تناولت في أولهما دور كل من الاستعمار - بشكليه القديم والجديد - والصهيونية ، وتناولت في ثانيهما دور « التبشير » ، بنوع من التوسع باعتباره الساحة الرئيسية التي يحدث فوقها الصراع ،

والفتنة الخطيرة التي ترد المسلمين عـــن دينهم ، والمصب الكبير الذي تؤول اليه فاعليات الاستعمار والصهيونية . ولم يرد تقسيم هذه القوى ، ووضع كل منها في فصل خاص سوى لغرض توضيح أبعاد دور كل منها .. أما في الحقيقة والواقع فان هنـالك ارتباطاً وتداخلاً فيما بينها ، يلحظه المطلع في كل حدث يتعرض له الاسلام في افريقيا ، نظراً للأهداف والمصالح المشتركة التي يتوخاها كل من المستعمرين والمبشرين والصهاينة من خلال نشاطهم هناك .

وفي ختام البحث استعرضت عوامل القوة والبقاء التي يتمتع بها الاسلام في افريقيا في مواجهة أعدائه الثلاث ، وبخاصة (المسيحية) التي لا تملك أية مقومـــات للقوة الداخلية تجعلها تنتشر (ذاتياً) ودون (دفع) خارجي .. الأمر الذي أدى بالمشرفين على التبشير بهـا إلى القيـــام بعمليات تصفية جسدية لكبار الدعاة الإسلاميين من أجل عزل الجماهير الإفريقية عن الإتصال المباشر بالإسلام . وما مقتل ((احمدو بللو)) ، ذلك الداعية العظيم ، بتلك الصورة الصليبية المفجعة ، في مطلع عام ١٩٦٦ ، سوى صورة واحدة من عدد كبير من صور هذه التصفية الجسديـــة بالمذابح والانقلابات والنفي والاعتقال والتجميد .. وهو وضع يحتم على الحركات الاسلاميـــة الافريقية وزعمائهـا التخطيط الحذر للسنين القادمة التي يبدو أن فاعلية القوى

الثلاث ستزداد خلالها ضراوة وشراسة ، سيما وان محنتنا في فلسطين ستزيد من تقارب تلك القوى ومن درجة ضغطها على الإسلام في القارة السوداء باعتباره الساحة التي ترتبط بالقضية الفلسطينية بأكثر من رباط ، والتي تهم – في الوقت نفسه – تلك القوى الثلاث (المنتفعة) من وجودها في القارة ، ومن تدميرها الدائم للطاقات الإسلامية هناك .

وأنا أكتب هذه الكلمات تمر في خاطري كلمات لمسلم كونغولي بسيط اسمه محمد [نحن المسلمين في الكونغو فقراء ضعاف جهلة ينقصنا كل شيء ، ونحملكم مسؤوليتنا أمام الله. إننا – رغم فقرنا – لا نطلب منكم المال بل نطلب منكم من يعلمنا القرآن والإسلام والعربية .. ان فقرنا يحول بيننا وبين الذهاب إلى بلادكم للتعلم] !! يا لها من كلمات تتنزل على قلوبنا حزناً وألماً وعذاباً .. إن محمداً .. الافريقي المسلم ، من بين ملايين من إخوانه هناك ، يلفت أنظارنا ، بكلماته هذه ، إلى الجانب الثقافي من المعركة ، والسلاح الذي يعد أشد اسلحتها مضاء .. وإن كلمات نبيه ونبينا (محمد) ﷺ تقرع سمعنا ووجودنا مرة ، بعد مرة ، بعد مرة [من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم !] [المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى] !

وإذا كنا لم نستطع يوماً أن نرفع السلاح مجاهدين ، من أجل اخواننا المسلمين في كل مكان، فلا أقل من أن (نقول) و (نفكر) و (نتكلم) .. من أجلهم .. من أجل أن نهتم بأمرهم ، وأن نسهر ونحم على ما يعانونه من مصائب وويلات .. فبالسهر والحمى .. بالقلق الدائم على مصيرنا المشترك ، يمكن – على الأقل – أن نبرىء ذمتنا أمام الله ورسوله .. وأن نقول لهم يوم (الحساب) ، الذي لا ندري ايان يقوم ، اننـــا قصرنا لأننا لم نرفع سلاحاً في يوم من الأيام .. ولكننا – على الأقل – قلنا .. تكلمنا بألسنتنا .. صرخنا بحناجرنا .. وويل لضعاف الإيمان .. أولئك الذين إذا رأوا منكراً لم يحركوا (يـــداً) أو يرفعوا (صوتاً) ! (*)

عماد الدين خليل

* ملاحظة : انجز هذا البحث في عامي ١٩٦٩ – ١٩٧٠ ومن ثم فهو لم يتطرق للتغيرات التي طرأت على السياسات الافريقية في السبعينات ، وبخاصة في أعقـــاب حرب تشرين الأول (رمضان) ١٩٧٣ ، علماً بأن هـــذه (التغيرات) لا تتجاوز ظاهر الأمور .. وتبقى التيـــارات الثلاث الخطيرة التي يحكي عنها البحث تحفر في أعماق القارة السوداء ..

الفصل الأول

الاستعمار والصهيونية

١ ـ الاستعمار

بدأ الاستعمار يتعامل مع افريقيا[١] أول مرة بقوة السلاح فاستولى على أقطارها الأربع ، عبر معارك طويلة المدى ، وغير متكافئة القوى . وراح يعب من خيراتها العظيمة ، ويرسل سفنه المحملة بالغلال والمواد الخام والماس والجوهرات والذهب ، أفواجاً أفواجاً ، إلى الغرب .. بل انهم تعدوا هذا إلى استرقاق الافريقيين أنفسهم ، وارسالهم إلى امريكا ليعملوا هناك عبيداً لسادتهم تحت ارهاب السوط والجوع . لكن هذه المرحلة من الاستعمار

(١) ينتظم الاسلام نحو نصف القارة الافريقية التي تبلغ مساحتها نحو ١١،٢٦٢،٠٠٠ ميل ، أي خمس مساحة الكرة الأرضية . ويبلغ عدد سكانها نحو مائتين وثلاثين مليون نسمة . منهم أكثر من مائة وعشرين مليوناً من المسلمين ، وفق الاحصائيات التي وردت في كتب التقويم السنوية وبخاصة ذلك الكتاب الذي وضعه (ويتاكا) لسنة ١٩٦٣ وكتاب (السيامي السنوي) : عن كتاب حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٨ .

القديم لم تكن تشكل خطراً حقيقياً على مصير افريقيا والوجود الاسلامي فيها ، لو لا أن رافقتها حركة تبشيرية واسعة النطاق ، مما سنأتي عليه في الفصل الثاني من هذا البحث .

وما أن استيقظت افريقيا وبدأت تفك عن معصمها القيود التي كبلتها زمناً طويلاً (وكان للمسلمين ولا يزال الدور الأول في هذه اليقظة) حتى جلت قوات الاستعمار بخيلها ورجلها عن معظم أقطار افريقيا ، لتعيد الكرة - هذه المرة - على القارة - التي لم تدخل في حسابها أن تتخلى عنها يوماً - أعادت الكرة لتفرض استعماراً (جديداً) أقسى من سابقه وأخطر وأشد تحطيماً لآمال القارة ، وكبتاً لحريتها العقائدية .. لقد تخلت امريكا واوربا الغربية عن سيطرتها المباشرة ، وهي سيطرة مرئية معلومة الابعاد ، ولكنها فرضت سيطرة غير مرئية ، مجهولة الابعاد ، من أجل أن تجعل من افريقيا ميداناً ستراتيجياً في صراع الغرب مع الشرق ، ومن أجل أن تحيط بسياج من الحماية الخفية حركات التبشير الصليبي في القارة ، ثم من أجل أن تضمن دائماً تدفق الخيرات والموارد الافريقية إلى مصانع السين والراين والتايم والتيمز والمسيسبي .. واستهلاك الشعوب الافريقية لما تنتجه هذه المصانع .

وقد جند الاستعمار الجديد في افريقيا لهذا الغرض عدداً

كبيراً من الثورات التحررية المزيفة ، ومن القادة والزعماء المستعدين دوماً للتنازل عن مطامح شعوبهم وآمالها لقاء التربع على عرش السلطنة والرئاسة .. كما جندت لهذا الغرض عدداً كبيراً من الجيوش الافريقية وجعلت منها (رأس الحربة) التي تضمن بها – عن طريق سلسلة من الانقلابات – البرامج المتطورة لأهداف الاستعمار الجديد .

كما أنشأ هذا الاستعمار – وهذا على درجة كبيرة من الاهمية – نوعاً من التعايش السلمي والتساند والعمل المشترك مع المؤسسات التبشيرية والصهيونية التي تستميت – الآن – من أجل أن توسع مواقع نفوذها في (أرض) افريقيا وفي (عقول) ساستها و (قلوب) شعوبها . لكن ما يجب أن يلاحظ – في هذا المجال – أن موجة الاستعمار الجديد والمؤسسات التبشيرية والصهيونية أفادت كثيراً من أخطاء الماضي ، ودرست – بتعمق ونفاذ بصيرة – ما خلفته مرحلة (الاستعمار القديم) الضجة القاسية ، من ردة فعل في وعي الانسان الافريقي وشعوره ، ضد العرقية والتعصب اللوني والاستعلاء القومي ، تلك القيم التي تصور قادة الاستعمار القديم أنهم بها سيذلون الأقوام السوداء ويستعبدونها ويسوقونها كقطيع من المواشي والاغنام . وطلع (كبلنك) الشاعر و (رينان) المؤرخ ، وغيرهما كثير ، ليؤكدوا بأن الرجل الأبيض يجب أن يتولى زمام القيادة ، وأن يسوق الأقوام الأخرى إلى المصير الذي يراه هو باسم الاستغلال

أو باسم التحضر ، وأن هـذا الرجل الأبيض هو الذي يمثل قمـــة التفوق العرقي الذي يجب أن يعبر عن نفسه بالقوة والسيطرة والسوق .. وأن الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيان .

لكن الإنسان إنسان ، خلقه الله وكرمه على العالمين ، وأنه لا فرق بين أبيض وأسود ، ولا بـين عربي أو أعجمي ، إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن الجميـع لآدم وآدم من تراب . وأن هذه القاعدة – التي جاء الأنبياء ليقرروها في ذهن الإنسان ووجـدانه – ما كان لها أن تضيع أو تغيب إلى الأبد . وهكذا فما أن بدأ الإنسان في افريقيا يثور على قوى الاستعمار القديم حتى وضع نصب عينيه هدفاً رئيسياً لهذا الكفاح ، هو أن يحقق إنسانيته وأن يكنس الأسطورة التي تجعل من الرجل الأبيض قيماً على الرجل الأسود ..

أفادت القوى الجديدة من هذه التجربـــة المريرة ، فجاءت إلى افريقيا هذه المرة حاملة راية المساواة الشاملة ، واحترام الشعوب والقوميات ، ومؤكدة على أن (العالمية) هي الهدف الحقيقي الذي يجب أن تعمل من أجله وتسعى اليه جميع الشعوب سوداء كانت أم بيضاء . وسرعان ما تناسى عدد كبير من الأفارقة مركب نقصهم النفسي القديم تجاه العرقية ، ومدوا أيديهـــم مصافحين القوى الجديدة

بأشكالها الثلاث : استعماراً جديداً وتبشيراً ويهودية .. أفلا يبدو من السخف ويدعو إلى الرثاء أن يتقدم قادتنا العرب إلى الأفريقيين باسم العرقية والقومية لينكؤا جرحهم القديم ، وهم يتصورون أنهم بهذا سيكسبون افريقيا ، وسيقطعون الطريق على القوى الجديدة ، وسيحتضنون آمال الافريقي وأهدافه ؟!

إن الأمر يبدو – في ظاهره – سذاجة وسخفاً .. ولكنه – في حقيقته – ليس سوى جزءاً من المخطط الذي أسهمت هذه القوى في وضعه ليبني سداً بين العرب : مادة الإسلام وموردِه ، وبين القارة السوداء ، وليقطع الطريق على المسلمين أن ينتشروا في أعماق أفريقيا ليبشروا بديانة التوحيد ، بل أن يلتقي هؤلاء المسلمين القدامى بالمسلمين الجدد الذين يعذبون ويضطهدون ويفتنون عن دينهم صباح مساء .. ومن ثم ليخلو الطريق أمام هذه القوى المتعايشة لتعمل ، على مدى القارة ، بحرية تامة دونما مراقبة أو حساب ، ولتحطم كل ما تبقى من علائق ووشائج بين الأطراف والمناطق الإسلامية ، ومن ثم لتعزل المسلمين جماعات جماعات فتضطهدهم وتعذبهم – بعد أن تجردهم من السلاح – فتفتنهم عن دينهم (كما يحدث في الحبشة على سبيل المثال) ، أو أن تسلط عليهم مذابح جماعية باسم التحرر والتقدم كتلك التي شهدتها زنجبار عام

١٩٦٣ والتي ذهب فيها – قتلاً وذبحاً – ثلاث وعشرون الف مسلم من مجموع ست وعشرين الفاً !!!

وما كان لهذه القوى أن تحقق هذا العزل الرهيب بين العرب والمسلمين – من غير العرب – عن طريق ما يمكن أن يسمى بخداع الشعوب .. فهذه الخرافة لا رصيد لها من الواقع ، والشعوب – بكليتها – لا يمكن أن تخدع في أمر كهذا . ولكن الأمر تحقق – بكل قسوته وغرابتـــه – عن طريق اتفاق مسبق بين القوى الجديدة التي تسيطر على مقدرات العالم وبين حفنة من الزعماء ، لقاء أن يتربع هؤلاء على كراسي الحكم والسلطان .

وليست فكرة (الوحدة الافريقية) ، وما رافقها من تأكيد على مفاهيم الحيـاد الايجابي وعدم الأنحياز ، سوى امتـــداد لهذا التآمر الامبريالي على الوجود الاسلامي في افريقيا ، اتخذ سمة أخرى تخالف في ظاهرها مضامين القومية والاقليمية .. لكنهما يلتقيان في مداهما البعيد . وهذا إن دل على شيء فانمـا يدل على قدرة الاستعمار الجديد على التحرك الواسع ، واعتماده أشد الأساليب خفاء وتعقيداً من أجل تحقيق أهدافه . ولقد أُريد للوحدة الافريقية ، فيما أريد ، أن تكون (طاقية) لإخفـــاء أشد عملاء امريكا صداقة وإخلاصاً (كهيلاسيلاسي وغيره) من أجل اطلاق يده باسم (وحدة افريقيا) تقتل وتدمر ، وتبني مجدهـا

على أشلاء القتلى والمدمرين . كما أريد لها أن تكون وسيلة عزل (ممتازة) لحركات الجهاد ضد الأنصاب التي وضعتها الامبريالية في طريق الافارقة !!

وفي احدى (النشرات الدراسية) التي أصدرتها جبهة التحريرية الاريتريه كشف واضح لهذه اللعبة الخطيرة ، وقد جاء فيها « .. في المناخ السياسي العام الذي تعبر عنه فكرة الحياد وعدم الانحياز وتؤطر له مؤتمرات القمة الافريقية والآسيوية ، وجدت اثيوبيا ، متآمرة مع أجهزة الاستخبارات الاستعمارية ، مجالاً طيباً للتستر على قضايانا الوطنية وعلى كل القضايا التحررية . كان يكفي اشتراك اثيوبيا في هذه المؤتمرات ليسدل ستار من الصمت على مآسينا ، وهذا دأبها في كل مؤتمر . لقد أثر المناخ السياسي العام – هذا – على موقف بعض القوى العربية ، ولكنه أثر بشكل أكثر حدة في المجال الافريقي حيث تجد فيه أثيوبيا جواً صحواً للعمل .. على الصعيد الافريقي يتزايد الحصار الديبلوماسي والاعلامي ، بحكم الاوضاع الاستعمارية التي تسيطر بطريق مباشر أو غير مباشر على معظم الاجزاء الافريقية (!!) وبحكم الفهم الضبابي ، الذي لا زال سائداً ، لفكرة الوحدة الافريقية . استطاعت اثيوبيا أن تفيد من مناخ السلبية في القارة فبادرت إلى احتضان فكرة الوحدة الافريقية ، ورفعتها كشعار مجرد من غير

أن توضح مضمون هذه الوحدة السياسي أو الحضاري أو حتى الاقتصادي (!!) وسرعان ما وافقت الدول الافريقية على اتخاذ اديس ابابا مقراً دائماً للمنظمة (!!) كما استطاعت اثيوبيا أن تطرح أمام الزعماء الافريقيين مشروعاً يقضي بعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى، مع الاعتراف بتقسيمات الحدود الراهنة في افريقيا. وترمى اثيوبيا من وراء هذين المشروعين، اللذين اجيزا بلا تحفظ (!!)، إلى تصوير نضالنا تصويراً اقليمياً انفصالياً من ناحية، وإلى سد المنافذ أمام الضمير العالمي . ان أي عطف نجده يمكن أن يدان تحت ستار التدخل في الشؤون الداخلية لأثيوبيا. هذا ولا تكف الديبلوماسية الاثيوبية عن تصويرنا كأعداء للوحدة الافريقيه . وفي إطار مواجهتها يلجأ الامبراطور الى خلق مركز سياسي (ممتاز) لشخصه كبطل أفريقي وزعيم مؤثر في الأحداث (!!) تراه يشترك في كل المؤتمرات، ويتوسط بين الدول المتصارعة إلى آخر القصة المعروفة . ويستغل الامبراطور هذا المركز في التضييق على تحركاتنا السياسية، وعزلنا عن مجالات الدعم الافريقية والخارجية التي يمكن إن نجدها .. إن الامبراطور الذي أدان القواعد العسكرية في كل المؤتمرات يحتفظ بأكبر قاعدة اميركية في الاراضي الاثيوبية، بجانب القواعد الاسرائيلية الحديثة والزوارق الحربية في المياه الاقليمية لارتيريا . وأن الامبراطور الذي أدان الاحلاف العسكرية هو أول حاكم

افريقي يبادر باعلان حلفه العسكري مع كينيا ضد الصومال وان الامبراطور الذي يتوسط للسلام بين الجزائر والمغرب لا يأنف من الهجوم على الشعب الصومالي الأعزل ويدمر قراه . وان الامبراطور الذي ينادي بقطع العلاقات مع بريطانيا كتأديب لها على مسلكها في روديسيا يكون هو أول المتراجعين عن تنفيذ القرار . وان الامبراطور الذي يدين التفرقة العنصرية يصبح من أهم روادها في بلاده بشكل عنصري وطائفي على السواء . وان الامبراطور الذي ينادي بعدم التدخل في شؤون الآخرين ، تثبت الأحداث انه أخطر المتدخلين لتغذية التمرد الانفصالي في جنوب السودان الشقيق . وان الامبراطور الذي يشجب تدخل القوى الأجنبية في المسائل الافريقية الوطنية ، تكشف الأحداث عن اعتماده على القوى الامريكية لضرب ثوار « منقستو نواي » في بلاده واستعادة العرش . ماذا بقي الامبراطور بعد ذلك ؟ لا شيء .. إن أسطورته في المجال الافريقي قد بدأت تتلاشى خصوصاً بعد الهزة السياسية التي أصابت منظمة الوحدة الافريقية من جراء المشكلة الروديسية » .

ورغم ما ذكرته نشرة جبهة التحرير الاريترية ، فان هيلا سيلاسي لا زال يلعب دوره ، وعما قريب سيجتمع في عاصمته (ايلول ١٩٧٠)[١] زعماء الوحدة الافريقية

(١) انجز هذا البحث في صيف عام ١٩٧٠ .

وعدم الانحياز .. وواضح أن اللعبة ما زالت جارية ، وأن سياسة الازدواج والنقائض التي يمارسها الامبراطور وغيره من زعماء افريقيا (الممتازين) ، ستغطيها – عملياً – (طاقية الاخفاء) التي اقامتها امريكا في اديس أبابا ، باسم منظمة الوحدة الافريقية ، والتي تعهدت بدفع كل مصاريف إنشائها من خزائنها الخاصة !

ولقد ذكر Russell Warren Howe مراسل جريدة الكرستيان ساينس مونسيتور بتاريخ ٣ تموز ١٩٦٨ في تحقيق له بعنوان (اثيوبيا تحطم الخطر الإسلامي Ethiopia Crushes Muslim Threat ، رفع فيه الامبراطور إلى السماء ، وصب في سطوره حقده على رؤوس المجاهدين الاريتريين وجيرانهم المسلمين في الصومال والسودان ، ذكر بالحرف الواحد « ان الولايات المتحدة الامريكية تملك فريقاً من الخبراء والمدربين العسكريين يبلغ عدده (٤٠٠٠) ضابط وخبير ، وهذا الفريق يساعد الامبراطور مساعدة فعالة تضبط هذه المنطقة (ارتيريا) المتوحشة ، والتي ما تزال مرتبطة بالعصابية وقطع الطرقات .. هذا وإن الطريق من اسمرة إلى ميناء مصوع على البحر الأحمر يغلق كل ليلة ، وهذا يعود إلى مقاومة السرقة ، وهي العادة التقليدية للمنطقة .. إن التهديد الإسلامي من الجيران المسلمين كان أشد المخاطر في التاريخ الأثيوبي .. هذا والامبراطور كذلك

ينظر إلى الجنوب ، ينظر إلى كينيا واوغندا وتانزانيا وزامبيا ومالاوي .. من أجل الصداقة . ومن محاولات الامبراطور الحالية أيضاً جعل اللغة الانكليزية لغة التدريس في الجامعات والمدارس الاثيوبية ، وكذلك محاولة المشاركة في مجتمع افريقيا الشرقية المعتمدة على الاسترليني .. والامبراطور يؤيد بشدة الوحدة الافريقية في السياسة الخارجية (!!) وهذه خططت لحماية عرشه من جيرانه المسلمين (!!) هذا وقد جعلت أديس أبابا مركزاً لمنظمة الوحدة الافريقية .. أما خارج افريقيا فان الامبراطور ينظر بالدرجة الأولى إلى اسرائيل ، ثم إلى الولايات المتحدة الامريكية . والآن تنقب شركات البترول الامريكية على الشواطىء (التي تخص الصومال طبعاً) كما وتستخرج البوتاس . وتملك السفارة الامريكية في أثيوبيا أكبر وجود في افريقيا ، فبالإضافة إلى منظمة التطور العالمي الامريكية Agency for International Development Peace corp والقطاعات الرسمية الأخرى ، تملك فريقاً كبيراً من الخبراء العسكريين . هذا وان مركز الاستخبارات العسكرية في كاغ نيو Kag New والموجود في اسمرة يضم فريقاً لا يقل عن ٣٥٠٠ امريكي .. وليحافظ الامبراطور على صفة الحياد (؟) فان أثيوبية امتلكت مصفاة

بترول روسية ، وشركة بلاستيك من الصين الشيوعية ..»[1] وهذا لن يناقض بطبيعة الحال ما أعلنته الصحف أخيراً نقلاً عن تصريح لأحد أعضاء الكونكرس الامريكي ، من أن ٥٠٪ من المساعدات الخارجية الاميركية لدول افريقيا تذهب إلى الحبشة وحدهــــا ، حيث يقبع مقر منظمة الوحدة الافريقية !!

وفي بيان لحزب الاتحاد الوطني الافريقي الموزمبيقي ، صدر بتاريخ ٢٨ آب ١٩٦٤ نقرأ هذه الكلمات « يؤسفنا أن نرى أعداءنا البرتغاليين ، وقد تسلحوا بمعدات حديثة ، بينما أهملنا كثير من القادة الافريقيين الذين تحدثوا بشجاعة في مؤتمر أديس ابابا عام ١٩٦٣ عن تأييد الشعوب المناضلة في كفاحهـــا ضد الاستعمار ، ومدها بالعون المادي والأدبي » .

إننا نستطيع أن نجد عشرات من الايضاحات والادلة على الدور الخطير الذي تلعبه (الوحدة الافريقية) ضد الحركات الاسلامية في طول البلاد وعرضها . وان الهدف الأساسي من وجودها هو قطع الطريق على التقاء القوى الاسلامية ، من أجل تثبيت أقـــدام ومشاريع القوى الاستعمارية الجديــــدة المتحالفة مع المؤسسات التبشيرية

(١) جريدة « الشهاب » اللبنانيـــة ، السنة الثانية ، عدد ١٤ ، أيلول ١٩٦٨ .

والصهيونية العالمية . وقـد كتب (انيس أحمد) مقالاً في صحيفة باكستان الشابة (عدد ٣ سنة ١٩٦٦) جاء فيه « لا شك ان أول الطرق وأقربها – لنجدة مسلمي تشاد – هي أن نطرق أبواب الدول المسلمة في افريقيا وننشدهـا الله والاسلام وحقوق الجوار ووحدة المصير . ولكن هذه الدول لم تكتف في الكرم – الكرم الغريب – بالغـاء ثقلها في مؤتمر اديس أبابا ، دون مخطط مسبق فيما بينهـا ويكفل حماية مصالحها المتجانسة وثقافتها المشتركة ويجعل ثقلهـــا قوة مؤثرة هادفة تستفيد وتفيد ، بل خرجت متورطة في اتفاق عجيب على (تكريس) أوضاع الدول الافريقية المشتركه في المؤتمر ، وعلى احترام هذه الأوضاع احتراماً متبادلاً بمقتضى ذلك (التكريس) . وذلك يعني انه لم يعد من حقهـا ، منفردة أو مجتمعة ، أن تتدخل لحماية مصالح المسلمين ، بل وجودهم ، من قبل هذا العدوان السافر عليهم في دولة تشاد – رغم أنهـم كثرتهـا وأولى بمقدراتهـــا – ما دام العدوان يجري داخل اطار الدولة الرسمي الذي كرسـه مؤتمر اديس أبابا العظيم .. وممـا يثير الدهشة أن ترى بعض الزعمـاء المسلمين ينـددون بشدة بالاستعمار والامبريالية إذا تعرض لهما غير المسلمين سواء كانوا في روديسيا أو جنوب افريقيا أو فيتنام ، ولكن يعمون أبصارهم عن هذه الشرور التي تواجه اخوانهم . يا له من

شعور غريب بالاستعلاء ؟؟ فلو أنهم كانوا مخلصين حقاً في تصريحـاتهم لاهتموا بادىء ذي بدء باخوانهم في الدين في اثيوبيا الذين أصبحوا ضحية الكبت الشديد الذي لا يرحم من قبل الملكية المطلقة التي يساندها الاستعمار الأجنبي»[١].

والواقع أن حكامنا في شمالي افريقيا ، لا يعدو أحدهم أن يكون عضواً ضالعـاً في فلك السياسة التي أنشأت منظمة الوحدة الافريقية وراحت تجني ثمارها ، أو جاهلاً لأبسط المفاهيم والأعراف الديبلوماسية والسياسية التي تقضي بضرورة مراعاة (مصلحة) الدولة و (كرامتها) الدولية، إن لم نقل مبادئها ، في تحديد علاقاتها وانتماءاتها السياسية. فالصين الشيوعية – مثلاً – لا يمكنها أن تسكت على أي خطر أو اضطهاد يتهدد جالياتها الكبيرة والصغيرة ، في أي بلد قريب أو بعيد ، ولا يمكنها – كذلك – أن تسعى إلى إيجاد علاقات ديبلوماسية ومواثيق سياسية في أي بلد يذبح أبناءها ويستحيي نساءها .. بل اننا نجد أن القطيعة الديبلوماسية والتوتر السياسي قد يتحولان إلى حرب معلنة أو غير معلنة لأسباب كهذه . أما حكامنا هناك ، فانهم – لارتباطاتهم الخفية أو لجهلهم – كانوا وسيظلون مستعدين لمد أيديهم ومصافحة أولئك الذين راحوا يعملون

---

(٢) مجلة (حضارة الاسـلام) الدمشقية ، السنة الثامنه ، الأعـداد ١ – ٢ و ٥ .

ذبحاً وقتلاً بإخوانهم في القومية والدين، كما راحوا يدمرون – في السر والعلن – مصالحهم الحيوية في افريقيا عن طريق فتح مجـــال العمل والنشاط المتعدد الجوانب أمام عدوتهم اسرائيل، حيث سيجيء ذلك اليوم الذي يقف فيه هؤلاء الحكام وجهاً لوجه أمام جدار هائل يمنع عنهم مد أبصارهم ونشاطاتهم الحيوية جنوباً صوب القارة السوداء . وثمة قلة لا تـكاد تُذكر من حكام شمال افريقيا أدركت ما يمارسه رفاقها من تناقض فاضح في علاقاتهم السياسية الافريقية ، لكن هذه القلة لم تستطع لحد الآن أن تعمل شيئاً لأن شبح العزلة يقعدها عــن التحرك يميناً أو شمالاً !! واذا ما تحركت فعلاً صوب سياسة اسلامية واضحة الأبعاد ، نُصبت لها الاشراك ، وأطاحت بها انقلابات الاستخبارات الامريكية والفاتيكان ، التي تهب على حين غفلة كرياح الخماسين ، لكي تقصي عن مواقع السلطة أولئك الزعمـاء المسلمين الذين بدأوا يتحركون صوب أهدافهم الحقيقية ، ويكشفون زيف افريقيا الموحدة تحت حمـــاية امريكا ، ويهددون – من ثم – جهود عقود طويلة بذلها المستعمرون والمبشرون من أجل ضمان مصالحهم في افريقيا . وما حدث في نيجيريا عــام ١٩٦٦ على يد ايرونسي ، ومقتل الزعيم الاسلامي احمدو بللو ورفيقه أبو بكر تفاوا باليوه يعد مثلاً من الأمثال على الاخطار التي تحيق بالساسة الاسلاميين ،

وإغراء لحكامنا المستريحين هنــاك بعدم التفكير الجدي في التحرك السياسي في إطار الإسلام، كي لا تطيح بهم رياح الامريكان والفاتيكان !!

ونمضي مع مجلة (باكستان الشابة) لنرى كيف اتخذت منظمة الوحدة الافريقية والتضامن الافريقي مطية لتحقيق أهداف عملاء الاستعمار واليهودية العالمية « ان الامبراطور هيلاسيلاسي ، ومن ورائه الاستعمار الغربي، قد جعل من نفسه أحد أبطال التضامن الافريقي ، بينما هو في الحقيقة أكبر طاغوت وأعظم عميل لأمريكا وإسرائيل في افريقيا . فموقفه المعادي يزيد من حدة التوتر بينــه وبين الصومال المجاور، فبفضل الاستعمار البريطاني استطاع أن يسيطر على بعض المناطق التــابعة للصومال ، كما ضم اقليم ارتيريا ، الذي تسكنه أغلبية من المسلمين، الى اثيوبيا نتيجة تآمر الدول الكبرى . ومما يثير السخرية أن الأمم المتحدة هي المسؤولة عمــا حدث في ارتيريا من إحكام قبضة الطاغوت هيلاسيلاسي على شعب ارتيريا، البالغ عدده مليونين ونصف، ضد رغباتهم وآمالهم ، تماماً كما كانت مسؤولة عما حدث في فلسطين .. إن الاستعمار بكافة أشكاله وألوانه ، أسوداً كان أم أبيض ، يعتبر شراً لا بد من التخلص منــه على درجة السرعة ، كما أن السيطرة العنصرية والاستغلال يعتبران انتهاكاً لحقوق الانسان الأساسية ... إن الوضع

في الحبشة يكاد يعصر القلب ، فهنـــاك ١٢ مليون مسلم يتعرض لسياسة إبادة حسية وثقافية على يد حكومة مسيحية يساندها الاستعمار بأمواله وأسلحته... وموقف بعض الدول العربية والافريقية مؤلم جداً ، فهم على صداقة وثيقـــة بفرعون اثيوبيا الأسود الذي فاق«فيروود» و«أيان سميث» في اضطهاده لأغلبية مجردة من السلاح، ذنبها أنها تدين بدين يخالف دين الأقلية الحاكمة » .

وعندما يتساءل إحسان حقي، مؤلف كتاب (افريقيا الحرة) ، في رسالة له من باريس قائلاً : « ... لقد أسفت أن يمر حادث إسلام الأمير كيمير شقيق الملك موتيسه الثاني رئيس يوغندا ومائة آخرون، وإسلام وزير خارجية غينيا (١٩٦٤) ، كأي حادث عادي .. بينما كان الواجب على الحكومات الاسلامية أن تسفر الى هذا الأمير عالماً يفقهه في الدين ويعمل على نشر الاسلام في يوغنــدا ... »[1] عندما يتساءل كاتب الرسالة عن سبب ذلك يكون الجواب على تساؤله واضحاً معلوماً ، بعدما عرفنا من عدم رغبة حكامنا هناك في فتح أية نافذة قد تدخل إلى منازلهم قليلاً من التراب .. وهم لا يريدون إلا أن تبقى دورهم نظيفة مريحة ، وأثاثهم لامع رائع .. ويكون الجواب هو الجواب

---

(١) مجلة (المسلمون) المجلد التاسع ، عدد ٥ ، شباط ١٩٦٥ .

على قوله « وقد بعثت رسائل شخصية الى بعض رؤساء الدول العربية وبعض الجمعيات الاسلامية ، أعرض عليهم برامج لإنقاذ هذه القارة قبل أن تفوت الفرصة ونخسر الصفقة ، ولكن صوتي هذا ضاع ... » .

ويكتب محمد المجذوب مقالاً في مجلة « المسلمون » (مجلد ٨ عدد ٥ سنة ١٩٦٤) يجيء فيه « ... حتى الآن لم تبق دولة افريقية واحدة من جنوب افريقيا وأواسطها إلا وأرسلت بعوثها السياسية أو الثقافية الى اسرائيل ... ومن بين دول ميثاق الدار البيضاء نفسها من يفتح بلاده لمصالح اسرائيل علانية ، بينما لم يجف بعد مداد توقيعه على ذلك البيان الدولي الذي يشهر بإسرائيل كعميل للاستعمار الجديد في افريقيا المتحررة .. وهذا أمبراطور الحبشة الصديق الأكبر لأقطاب الدول العربية المتحررة ، والذي بلغ من ثقة هؤلاء به أنهم لم يجدوا خيراً منه للإصلاح بين المغرب والجزائر، فراح يجوب العواصم مناشداً مفاوضاً .. وهو نفسه الذي ابتلع ربوع ارتيريا المسلمة ، وقسماً غير يسير من الصومال الاسلامي ، وراح يعلن في الكونغرس الامريكي أنه قد وضع الترتيب اللازم لإعادة المسلمين في الحبشة الى دين أجدادهم خلال اثني عشر عاماً ، ثم راح يفتح بلاد الاسلام المغتصبة هذه لإسرائيل تنشيء فيها المشروعات المختلفة التي تسد الكثير من حاجتها الى الغذاء

والسهاد .. وما كاد الأمبراطور يفرغ من إصلاح ذات البين بين الشقيقين المغربيين حتى فتح ذراعه لاستقبال كولدا ماير - وزيرة خارجية اسرائيل آنذاك - في أديس أبابا نفسها التي استقبل فيها أقطاب الوحدة الافريقية وفي طليعتهم زعماء الدول العربية المتحررة، وسمع من بعضهم في إطراء جلالته ودولته ما لم يقولوه في هرتزل ووايزمان ... إن اغتصاب أرض الاسلام، وفتنة تسعة ملايين في دينهم، ثم إباحة ديارهم ومرافقهم للصهيونية ، كل ذلك لم يستحق من دول العرب ولا جامعتهم كلمة احتجاج ... بل مرت المأساة ولا تزال تتوالى مشاهدها على أعين العالم دون أن يرتفع صوت رسمي أو يتحرك قلم قوي في جميع بلاد العرب إنكاراً لهذه الفاجعة التي لا ترتفع عن مستواها مأساة فلسطين بالنسبة الى مستقبل العرب ووجودهم كله في هذا العصر » .

ومع ذلك كله ، فإن المؤتمرات لا زالت تعقد في أديس أبابا ، ولا زال الامبراطور ، سبط يهوذا ، يبارك هذه المؤتمرات ، ويزور بعض العواصم العربية فيتلقاه زعماؤها بالقبلات والأحضان . ولا زال حكامنا وزعماؤنا يحضرون (مطية الوحدة الافريقية) في أديس أبابا ليصبوا لعناتهم من هناك على مضطهدي السود من أمثال فيرووود وأيان سميث ، ويقطعون صلاتهم الديبلوماسية بالحكومات

الغربية التي تؤيدهم، ناسين أو متناسين أن معهم على نفس الطاولة جزاراً متعصباً حقوداً يهودي الأصل، يفوق عنفاً وضراوة في اضطهاده للأكثريات كلاً من فيروود وأيان سميث.. لكن الذي يحميه لونه الأسمر وجنسيته الافريقية. ولما كان حكامنا إياهم قد اجتمعوا هناك لصب لعناتهم على الرجل الأبيض فحسب، فهذا كاف لأن يجعلهم يجلسون جنباً إلى جنب مع الجزار الأسمر، ويوقعون معه على قرارات ومواثيق، ليست ـ بدورها ـ سوى المشنقة الكبيرة التي أعدت ـ بدهاء ـ لخنق القوى الاسلامية في عدد كبير من بلاد افريقيا: الحبشة وكينيا وتنزانيا وتشاد.. وغيرها، باسم تضامن افريقيا وحيادها الايجابي الذي باركه المستر مينين ويليامز نائب وزير الخارجية الامريكية للشئون الافريقية، أثناء زيارته للعاصمة السنغالية دكار، حيث أعلن في مؤتمر صحفي عقد هناك بأن الولايات المتحدة «تؤمن بمبدأ الحياد الايجابي وتقرير المصير للشعوب، وأن بلاده ترغب في أن ترى الشعوب الافريقية في وضع يمكنها من الاكتفاء الذاتي، ورفع مستوى المعيشة بين الأفراد».

لقد بلغ من تمكن الامبريالية وسيطرتها على زعماء افريقيا، أنها تجمع الى مائدة واحدة صنفين من الحكام تفصل بينهما قضايا كبرى كقضية فلسطين التي هي أولى

قضايا البلاد العربية ، آسيوية كانت أم افريقية ، ومأساة يومها وغدها ، ومشغلة رأيها العام . بينما تعد ـ القضية ذاتها ـ بالنسبة للصنف الثاني من المجتمعين الذين عقدوا الأحلاف والمواثيق السياسية والعسكرية والاقتصادية مع اسرائيل ، أمراً يجب ألا يشغل الأفارقة عـــن مطامحهم القارية الكبرى ، حتى ولو كانت اسرائيل تحتل جزءاً واسعاً من تربة افريقيا ووطنها الموحد الكبير !!

٢ ـ الصهيونية

تمكنت اسرائيل من إنشاء علاقات سياسية وثقافية واقتصادية وثيقة مع عدد كبير من الدول الافريقية في سنين معدودات، مستغلة امتدادها الى البحر الاحمر ووجود ميناء ايلات كمركز رئيسي للاتصال بافريقيا عبر خليج العقبة الذي ضمنت قرارات مجلس الامن حمايته طيلة الاعوام بين حربي ١٩٥٦–١٩٦٧ !! ومنذ ذلك الوقت راحت اسرائيل تبذل نشاطاً مضاعفاً للنفاذ إلى قلب افريقيا عن طريق زعماء الدول الافريقية، والمؤسسات التبشيرية والاستعمارية، وأصحاب رؤوس الأموال ومدراء المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية .

والصهيونية تسعى دائماً ـ نظراً لانغلاقها التاريخي على الامم والشعوب ـ الى أن تبدأ طريقها من فوق .. من الزعماء وأرباب المال وكبار المثقفين . وهكذا نجد اسرائيل تنشىء علاقاتها مع عدد من الدول الافريقية دون أن يكون لشعوب تلك الدول رأي حول الموضوع ، وربما كانت لبعضها مواقف عدائية ضد الصهيونية واسرائيل .

ولكن تلك الشعوب سرعان ما تؤخذ بهذه المصالح المتبادلة بين دولها وإسرائيل ، وبهذا العطف الذي تمنحه اسرائيل لهذه الدول الناشئة، وبذلك الترحيب الذي تلقاه البعثات الافريقية الى اسرائيل ، وبتلك الجهود التي يبذلها الخبراء الاسرائيليون في شتى الحقول الافريقية .

وهكذا يزداد الخطر الصهيوني ويتسع نطاقه، ذلك أنه لا يكتفي بالبقـاء معلقاً على نطاق القادة وأرباب الفكر والمال، بل ينساب، كالأفعى، هادئاً ناعماً ، إلى القواعد.. ثم ان القضية ليست قضية دولة اسرائيل فحسب بل هي قضية حركة عالمية، تدعمها الماسونية التي تشكل ـ في ظاهرها ـ أكبر وأعظم انفتاح على الاتجاهات الوطنيـة والتحررية والانسانية . وهكذا تمد الصهيونية ـ عن هـذا الطريق الذي ينسجم ومشاعر الافريقي الذي لوعته العرقية والعنصرية ـ نشاطها في افريقيا، وتصافح الافريقيين واحداً بعد واحد، وتسهم مع الاستعمار الجديد والتبشير في محاصرة الحركات الاسلامية وتضييق الخناق على المسلمين: بالتجويع والارهاب والقتل والافناء .. وهكذا نجد ـ مثلاً ـ أن مجزرة زنجبار تسهم فيها عناصر صهيونية ، والانقلابات العسكرية تدفعها عناصر صهيونية ، وحركات الانفصال عن الدول الاسلامية (كحركتي جنوب السودان وبيافرا) تسندهمـا اسرائيل سياسياً ومالياً وعسكرياً وإعلامياً .. كما نجد الحكومات

الانقلابية في افريقيا تمد أيديها مصافحة اسرائيل ومعترفة بها .. والزعماء المسلمون الافارقة ، الذين يقفون بإخلاص ضد المطامع الصهيونية ، سرعان ما يطاح برؤوسهم لكي ينصبّ في مراكزهم قادة لهم مع الصهاينة تاريخ طويل !!

كتب الكاتب الصهيوني (اورين فرينكيل) في صحيفة (جيروزاليم بوست) مقالاً تحليلياً عن عوامل انتصار اسرائيل جاء فيه : « وثمة عامل ـ آخر ـ في نجاح سياسة اسرائيل هو توصلها إلى تعزيز علاقاتها بالدول الآخذة بأسباب النمو والتطور وخاصة أفريقيا . وقد تحقق هذا النجاح بفضل الانجازات الفريدة من نوعها التي حققتها اسرائيل في الداخل والخارج ، مما يسّر لها تجاوز وتحطيم الحصار السياسي والاقتصادي العربي الذي ضرب حولها . والواقع أن علاقات اسرائيل بالدول النامية قد تجاوزت مراحلها الاولية واستقرت الى حد كبير. وقد ساعد استقرار هذه العلاقات على تعزيز مركز اسرائيل وبالتالي على إضعاف مكانة العرب.. ويعتقد قادة اسرائيل أن السياسة الاسرائيلية ذات الشقين المتمثلين في القوة الرادعة العسكرية والجهود السياسية يجب أن تعزز بحيث تصبح أقوى وأقدر على القضاء على المقاومة العربية »[١] .

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة السادسة ، عدد ٢ .

وقد جاء في خطاب لـ «بن غوريون» عام ١٩٦٠ «اننا لا نستطيع ان نُكره جيراننا على عقد السلام معنا ، ولكن ما من شيء يمكن أن يؤدي الى تخفيف حدة البغضاء لدى العرب نحونا ، وبالتالي يؤدي الى السلام بيننا وبينهم أفضل من أن نكسب مزيداً من الاصدقاء من دول افريقيا وآسيا » . ويقول آموسى بن مزيد عن التعاون الاسرائيلي الافريقي : « بأن هذه الروابط إنما هي المرتكز الرئيسي لإسرائيل مع العالم الخارجي ـ ما وراء وفوق السور ـ العدائي الذي أقامه العرب حولها، هذه الروابط هي الطريق غير المباشر الى السلام مع اسرائيل » .

وجاء في خطاب وجهه الطلاب المسلمون ـ الافريقيون والآسيويون ـ الذين يدرسون في معهد العمل بإسرائيل ، إلى كافة شعوب العالم « ... لقد جئنا الى هنا لندرس ونتزود بالخبرة الضرورية لتنمية بلادنا .. إلا أن دوراتنا لم تتفق مع مطالبنا . لقد شغل معظم وقتنا بتغذيتنا بالدعايات حول نجاحات وإنجازات اسرائيل (الاشتراكية الصهيونية) . وقد جرت محاولات لجعلنا أصدقاء أوفياء لهذا البلد وللاعتماد عليه في كفاحه ضد العرب . لهذا بذلت عناية كبيرة لتحويل تفكيرنا إلى تفكير مناوىء للعرب ، وللوقوف ضد إخواننا المسلمين من البلدان العربية ، ولبث كافة أنواع الافتراءات ضد هذه البلدان. وفي بعض الحالات

يسعى عملاء المخابرات الاسرائيلية لجعلنا آلات طيعة لهم. لقد خصص حوالي النصف من أوقات دروسنا للشغل العملي المزعوم في المستعمرات حيث نقوم بأتفه الأعمال. وغالباً ما تدعى هذه المستعمرات هنا (بالأديرة الاسرائيلية) وقد جرت مؤخراً عملية غش حقيرة تعرض لها أحد اخواننا من الصومال، إذ حاول ستيفن، أحد الديبلوماسيين الامريكيين مع ضابط المخابرات الاسرائيلية تجنيده، فأغدق عليه الدولارات لكي يتعاون مع الولايات المتحدة ودوائر المخابرات الاسرائيلية. ولقد أصبح لدينا واضحاً فيما بعد ان الاسرائيليين والأمريكيين يقومون بتنفيذ برنامج خاص لتحوير تفكير الطلاب المسلمين، وهذا أمر طبيعي تماماً لأن الأموال المعطاة من أجل دراستنا تأتي خاصة من الولايات المتحدة »[1].

وقد استعرضت الدكتورة زهيرة حافظ عابدين، في تقريرها عن الزيارة التي قامت بها لبعض الاقطار الافريقية الشرقية عام ١٩٦٤ بدعوة من هيئة الصحة العالمية، استعرضت الاساليب الرئيسية التي مكنت اسرائيل من التغلغل في بلدان القارة وهي أولاً: الإكثار من دعوة الوزراء والقادة السياسيين وأصحاب النفوذ والسلطان الافريقيين، غالباً في طريق عودتهم من الخارج حتى

---

(١) حضارة الاسلام، السنة السادسة، عدد ١.

لا تتحمل نفقات السفر الى اسرائيل ، حيث تعمل جاهدة على إقناعهم بفكرة عبقريتها وقدرتها الانتاجية وتقدمها ونشاطها في مختلف الميادين، مما يشجعهم على فتح الباب لها للمساعدة في شتى الميادين . ثانياً : المبادرة بعرض خدماتها لكل مشروع تشم رغبة الحكومة فيه أو حاجة البلاد اليه ... والواقع أن الانكليز والغرب عموماً ما زالوا قابضين على السلطة الحقيقية حتى في البلاد التي نالت استقلالها. فمثلاً وزير الصحة هو وزير سياسي اسمي في حين أن مدير الصحة انكليزي يسيطر على معظم شؤون الصحة وهكذا . وهؤلاء المستعمرون يمهدون لتغلغل اسرائيل ويسهلون لها الأمر بكافة الطرق . ثالثاً : الإكثار من دعوة المبعوثين من أهل البلاد الافريقية الى برامج ثقافية (قصيرة في الغالب) ليرجعوا ويقبضوا على السلطات المختلفة ويكونوا أداة لتنفيذ رغبات اسرائيل وسياستها » [١] .

وتتبع اسرائيل، من أجل تحقيق أهدافها في افريقيا، منهجاً إعلامياً مدروساً يعد بمثابة الجسر الذي يجتازه النفوذ الصهيوني الى هناك . ولا بد لنا من استعراض الخطوط الرئيسية لذلك المنهج اذا ما أردنا أن ندرك أبعاد الدور الذي يلعبه اليهود في افريقيا ، نقلاً عن الدراسة القيمة

(١) جريدة (المجتمع) اللبنانية ، السنة الرابعة ، عدد ١١ ، كانون الثاني ١٩٦٥ .

التي نشرتها مجلة (حضارة الإسلام) تحت عنوان (أضواء على الإعلام الاسرائيلي) (عدد ٩ ـ ١٠ السنة العاشرة) والتي بدأتها بعدد من الملاحظات التمهيدية التي لا بد من تسجيلها لدى الحديث عن النشاط الاعلامي الاسرائيلي في افريقيا ، منها أن الدول الافريقية ولدت لترى اسرائيل وقـد سبقتها في الوجود وتصوت على قبولها في المنظمة العالمية ، ومنها إقامة العلاقات الديبلوماسية وعرضها المساعدات الاسرائيلية على الدول الافريقية، ومنها تشجيع الدول الغربية للدول الافريقية حديثة الولادة بالتعامل مع اسرائيل، ومنها غياب الوجود العربي في القارة السوداء. ويهدف الإعلام الاسرائيلي في القارة الى فك طوق العزلة الاقليمية الذي تفرضه عليها الدول العربية وأن تجعل منها مجالاً حيوياً لها في جميع المجالات . كما يهدف الى حصول اسرائيل على تأييد الدول الافريقية في مواقفها ، والى أن ترسخ لدى قادة افريقيا بأنها تكون ، تاريخياً وجغرافياً وواقعياً ، جزءاً لا يتجزأ من العالم الأفروآسيوي النامي .

ومن أجل تحقيق هذه الاهداف يتبع الإعلام الاسرائيلي المداخل الرئيسية التالية :

آ ـ التأكيد على (وحـدة التجربة التاريخية النفسية للشعبين اليهودي والافريقي) . ولقد ردد هـذه النغمة العديد من الكتّاب العاملين في الإعلام

والمسؤولين . ونكتفي في هذا المجال بقول «اشكول» في برلمان ساحل العاج عام ١٩٦٦ . يقول: « ان الدول الافريقية واسرائيل كافحت سوية ضد التمييز العنصري والتعصب الديني بكافة أشكالها وحيثما ظهرا » وأن اسرائيل ولدت « نتيجة شوق للحرية وذكريات الاضطهاد » ولهذا فإنها تتابع بعطف بناء المجتمعات الجديدة في كافة أنحاء افريقية .

ب ـ التأكيد على أهمية التجربة الاسرائيلية « الفريدة والرائدة » في أنحاء الدول الافريقية . ولا يكاد المسؤولون الاسرائيليون يتركون فرصة دون تبشير الدول النامية بصفة عامة والدول الافريقية بصفة خاصة بأهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه تجربة اسرائيل «الفريدة والرائدة» في نمائها وتقدمها . وهم يعزون تلك التجربة الى سبق استقلال اسرائيل ونتيجة للظروف التي عاشها الشعب اليهودي في المنفى . لقد تحدث بن غوريون في مقدمة الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية لعام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ فقال : إن سبب إجتذاب اسرائيل للإفريقيين لا يرجع لكونها « دولة قوية وعظيمة ، غنية وكريمة ، ولكن لأن الدول

الحديثة ترى فيهـا مثالاً مناسباً ومفيداً جداً لدولة تحاول بنجاح غير قليل حل المشاكل التي تهم البلدان القديمة والحديثة في افريقيا وآسيا » .

حـ ـ التأكيد على خلو علاقات اسرائيل بإفريقيا من الأطماع السياسية . وفي هذا المجال يقول اشكول « انه ليس لإسرائيل رغبة في أن يكون لهـا موطىء قدم في هـذه الأقطار ضد إرادتها ومصالحها . ان اهتمامنا الأكبر منصب على نقل المعرفـة والخبرة الى الموظفين المحليين بحيث يصبحون قادرين بأقرب وقت على استلام المسؤولية بأنفسهم » . ويقول : « إن عمل اسرائيل في افريقيا ليس مساعدة ولكنه تعاون. فنحن نعلّم ولكن نتعلم أيضاً ونكسب مقابل عملنا مكاناً في ملحمة الحرية الافريقية » ولكن الواقع يرد هـذا الادعاء ويدحضه . وفي ذلك يقول موشيه ليشيم رئيس الدائرة الافريقية بوزارة الخارجية الاسرائيلية : « إن رغبـة اسرائيل المشروعة في إيجاد أسواق لمنتجاتها إنمـا يقابلها رغبة كبرى لدى الحكومات الافريقية في تنويع وارداتها » .

د ـ التأكيد على الدور الهام الذي تلعبه افريقيا في تحقيق السلام في الشرق الاوسط : وينطلق هذا المدخل الاعلامي من افتراض وحدة النظرة الاسرائيلية الافريقية ازاء العلاقات الدولية، مثل ضرورة حل المنازعات بالطرق السلمية ونزع السلاح ومعارضة التدخل واستعمال العنف... ولقد أوضح بن غوريون في مقدمته لكتابه السنوي لعام ١٩٦٠-١٩٦١ من أن الطريق الأكثر ضمانة للوصول الى السلام والتعاون مع جيراننا ، لا يكون بدعوة شعب اسرائيل ووعظه بالسلام كما يفعل بعض محبي السلام من البسطاء . ولكن عن طريق الحصول على أكبر عدد ممكن من الاصدقاء في آسيا وافريقيا الذين سيفهمون أهمية اسرائيل وقدرتها على المساعدة في تقدم الشعوب النامية والذين سينقلون ذلك المفهوم الى جيراننا . ولقد عبر عن هذه الفكرة رئيس الدائرة الافريقية في وزارة الخارجية الاسرائيلية فقال: «ان صداقة افريقيا هي عامل توازن قوي لصالح اسرائيل في العالم الافريقي الآسيوي . وقد تكون ذات دور في إقناع العرب بالتفكير في التعايش السلمي » .

وكان من نتيجة هذا الإعلام المدروس تجاه افريقيا أن

تمكنت اسرائيل من إنشاء علاقات دبلوماسية بإحدى وثلاثين دولة افريقية من مجموع ثمان وثلاثين (حتى عام ١٩٦٨) . ومن بين هذه الاحدى والثلاثين هناك تسع وعشرون دولة غدت علاقاتها بإسرائيل على درجة سفارة . أمـا تعداد الجالية اليهودية في افريقيا ، فقد بلغ حتى عـام ١٩٦٥ ٥٠١،٦٨٠ يهودياً . فإذا مـا انتقلنا لاستعراض وتحليل النشاط اليهودي الفعلي في افريقيا ، فإننا سنرى الكثير الكثير ...

في نيجيريا كان للصهيونية – كما يؤكد أحد أعضاء الوفد النيجيري الذي زار عدداً من العواصم العربية سنة ١٩٦٦– نشاط ملموس قبل استقلال البلاد ، وذلك بنشر دعايتها الاقتصادية والزراعية . أما بعد الاستقلال فقد ظهر فشلها وخيبتها ، وذلك لأن موقف الشباب النيجيري المسلم من قضية فلسطين يهدد الصهيونية لأنه يعاديها عداء لا هوادة فيه بدافع من اخوة الاسلام وعقيدته [١] .

وقد ألقى الزعيم الراحل أحمدو بللو مزيداً من الأضواء على هذه الحقيقة ، وحذر من مخاطر السياسة اليهودية في افريقيا، عندما كتب يقول:«ان التغلغل الصهيوني في بعض الدول الافريقية سيكون له الأثر الخطير بين أفراد الشعوب الافريقية .. فإننا نعلم أن سياسة مص الدماء للشعوب

(١) انظر المقابلة كاملة في حضارة الاسلام ، السنة السادسة ، عدد ١ .

الافريقية المتحررة ، والتي تريد أن تبني اقتصاداً ذاتياً وتحاول التقدم سريعاً متخطية ظلام استعمار عاش سنوات طويلة في القارة الافريقية ، هي سياسة صهيونية . وقد استطاعت الدول الاستعمارية أن تثبت أقدام اسرائيل في بعض البلدان الافريقية . وبعد فترة غير قصيرة ستجد أن الدول التي أغلقت الأبواب أمام سياسة مص الدماء قد تقدمت .. أما الدول التي تركت اقتصادها في يد بعثات النصب الصهيونية فهي دون شك ستتأخر كثيراً .. وهناك كثير من البلاد الافريقية ، وخاصة التي نالت استقلالها حديثاً، تشعر تماماً بالخطر الصهيوني فلا تفكر في الارتباط أو الوقوع في الفخ . فعندنا ، في الاقليم الشمالي من نيجيريا حاولت بريطانيا أن تثبت بعض النفوذ الصهيوني، ولكننا منعنا تثبيت العصابة في بلادنا ، وأعلنا أننا غير ملزمين بأي ارتباط ، سواء كان على شكل اتفاق أو على أي شكل آخر مع اسرائيل تعقده الحكومة الفدرالية أو بقية الحكومات الاقليمية . كان هذا قبل الاستقلال عندما كانت الأمور بيد بريطانيا . ثم حاولت اسرائيل بعد الاستقلال أن ترسل احدى بعثات النصب، ولكننا منعنا هذه البعثات من دخول أراضينا . وحاولت مرة أخرى أن تعقد اتفاقات فردية مع التجار ، ولكننا أغلقنا كل متجر فيه بضاعة اسرائيلية . إن الشعب عندنا يكره اسرائيل لأنه

شعب مسلم ، ولأنه يعلم تماماً عدم شرعية قيام اسرائيل كدولة ، وعدم تكامل شروط الدولة في مجموعة الناس الذين يعيشون في رقعة أرض سرقوها أصلاً من أصحابها العرب . والشعب يعرف الدور الخطير الذي قامت به اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر .. ويعلم موقفها من التمييز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا، ومن رغبة الشعب الجزائري في الحرية ، ومن قضايا الاستقلال في الكونغو وأنغولا لقد طلب مني يوماً أن أسمح لكولدا مايير وزيرة خارجية اسرائيل بأن تقابلني، فكان ردي: نعم اسمح لها بشرط أن تسمحوا لي بإطلاق الرصاص عليها بمجرد رؤية وجهها الحاقد الكالح . إن مشاكلنا نحن المسلمين واحدة ، وعدونا مشترك . وأنني أهيب بإخواني المسلمين حيثما كانوا في العالم كله أن يقاربوا بين صفوفهم في خدمة الله سبحانه وفي توثيق الوحدة بين الأخوة ، فإن الاسلام لن يحفظ مكانه الجدير به في العالم إلا اذا كان أبناؤه متحدين»[١] !!

ولقد حدث قبيل مقتله أن سئل في مطار لاغوس عن تصريح اسرائيلي بعقد اتفاق اقتصادي بين نيجيريا واسرائيل، فأجاب بعنف: « إن اسرائيل بالنسبة لنا غير موجودة ، ولن تكون موجودة أبداً »[٢] !!

---

(١) المجتمع ، السنة الخامسة ، عدد ١٣ ، آذار ١٩٦٦ .

(٢) المصدر السابق ، السنة الخامسة ، عدد ١١ ، شباط ١٩٦٦ .

لكن انقلاب ايرونسي الدموي سرعان ما حل كالأعصار – في مطلع عام ١٩٦٦ – لكي يطيح بالرؤوس التي تصدت للامتداد الصهيوني هناك ، وحرصت على الدفاع عن قضية المسلمين في فلسطين، ولكي يفتح الطريق ثانية أمام النشاط اليهودي في البلاد، ذلك النشاط الذي كان من بين الأسباب التي أشعلت حرب الانفصال في بيافرا – بعد الإطاحة بإيرونسي واعتدال الاوضاع النسبي في نيجيريا – ولقد استمرت تلك الحرب سنين طوالاً ودمرت طاقات البلاد وإمكاناتها الاقتصادية والبشرية .

ولقد بدا اهتمام اليهود بحركة الانفصال هذه ، بشكل متزايد ، منذ لحظاته الاولى . وهو اهتمام لا تتضح فيه –كالعادة – اليد اليهودية ، فهم لا يتحدثون إلا نادراً عن بيافرا .. وإذا فعلوا ففي لهجة ظاهرها الرأفة بالجائعين والمعوزين !! ولكن أجهزة الإعلام في الغرب ، خاصة في بريطانيا وفرنسا ، وهي أجهزة يلعب المال اليهودي الدور الاول في تسييرها ، كانت دائمة التعرض لها بمناسبة وبلا مناسبة.. فلم تخل صحيفة ما من الحديث عن مئات الآلاف الذين يموتون جوعاً في بيافرا، ولم تخل مجلة ما من صور القتلى في بيافرا ، ولم يقدم برنامج تلفزيوني إلا وفيه فقرة عن الاطفال الذين يتضورون من السغب. وقبل هذا وذاك الحديث بإسهاب عن السلوك المتوحش الذي تنتهجه

القوات الاتحادية مع قبائل الايبو، وعن حرب الابادة التي تشنها في أراضيهم . وليس الهدف من هذه الحملات جميعاً سوى تأكيد ادعاءات المتمردين في الاقليم الشرقي ، بأن لا سبيل الى العيش مع الشمال بسلام ، وإظهارهم للناس بأنهم يحاربون في سبيل هدف مشروع . كما تمثلت اليد اليهودية التي تحرك الانفصال في الاعتمادات المالية التي وضعها بنك روتشيلد في فرنسا تحت تصرف المتمردين لشراء الاسلحة ، وفي المساعدات التي قدمتها لهم وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وفي الاسلحة التي انهالت عليهم من فرنسا ، والتي نقلت عبر المستعمرات الفرنسية السابقة المجاورة لنيجريا . وهنا التقت اليهودية مع الصليبية في دعم الانفصال . فقد ثبت – كما سنرى في الفصل الثاني من هذا الكتاب – أن البعثات التبشيرية ألقت بكل ثقلها وراء اوجوكو قائد الانفصال، تماماً كما حدث ويحدث في جنوب السودان. وعلى رأس الأهداف التي تقف وراء هذا الدعم للحركة الانفصالية ، هو فصل الشرق الغني بالنفط عن الشمال الفقير كي يقضى على إمكانية قيام دولة اتحادية قوية بزعامة الشمال ذي الثلاثين مليون مسلم، وهي الدولة التي يكمن فيها خطر تحول الملايين الباقية الى الاسلام حين يمسك بزمام الامور أناس مثل أحمدو بللو. ومن أجل هذا خططت اليهودية والصليبية لانقلاب ايرونسي الذي استشهد

فيه بللو وباليوه وخرج حكم نيجيريا من المسلمين في الشمال[1]. ومن أجل هذا أيضاً كانت اسرائيل قد أنفقت على فوز رجل الغرب (اويا فيمي اولوا) في انتخابات عام ١٩٥٩ أكثر من خمسة ملايين جنيه، وهو نفسه الذي قام بانقلاب فاشل في نيجيريا وحكم بالسجن عشر سنوات .

ولم تنته حرب الانفصال إلا وكانت نيجيريا قد خرجت منها منهوكة مريضة متعبة . وأغلب الظن ان اسرائيل ستجد الفرصة مرة أخرى من خلال هذا الانهاك الذي تعانيه نيجيريا لكي تزيد من توغلها هنــاك بحجة التصنع والتنمية والتطوير ، تماماً كما وجدتها اثر انقلاب ايرونسي حيث أنشأت عدداً من الشركات أشهرها تلك التي أنشأتها شركة سوليل بونيــه التابعة للهستدروت والتي استخدمت أربعة آلاف عامل نيجيري وستين موظفاً اسرائيلياً برأسمال مشترك مع حكومة لاغوس .

وفي موزمبيق تلقت عناصر الافريقيين المغتربين المتجمعة في منظمة عميلة تدعى(فريلمو) تأييداً حماسياً من الاسرائيليين والأمريكان وبعض الاقطار الافريقية المتأثرة بالاسرائيليين والتي تملك نظاماً إجتماعياً كذلك الذي تريد منظمة(فريلمو)

---

(١) جولة في الصحافة اليهودية ، ترجمة وتعليق محمد مصطفى ، الشهاب ، السنة الثانية ، عدد ٢٤ .

فرضه على موزمبيق اذا وجدت الفرصة لذلك[1] .

وفي الكونغو ، حيث تكاد اليهودية تنعدم بين الكونغوليين ، نجد اليهود يملأون البلاد ويسيطرون على تجارتها وبعض صحافتها . والبضائع الاسرائيلية تغرق البلاد وهي تصل اليها وإلى بقية البلاد الافريقية عن طريق خليج العقبة . كما نجد في كتاب الجغرافيا الذي يدرّس في مدارسها الابتدائية والمتوسطة ، خريطة لسوريا تجعل المسافة بين حدود اسرائيل الشمالية ونهر الفرات لا تتجاوز المائة كيلو متر . وفي بعض الخرائط المصورة نجد خلطاً مقصوداً بين أسماء الأنهار والجبال والأماكن[2] . وقد تخرج في السنين الاخيرة ما يزيد على الخمسين طالباً كونغولياً من معهد الدراسات الافريقية في حيفا .

وفي غانا أنشأت اسرائيل شركة النجمة السوداء للنقل البحري برأسمال ١٥٠ ألف جنيه اسرائيلي منها ٤٠ ٪ لإسرائيل و ٦٠ ٪ لغانا . ثم أشرفت على معهد البحرية الغاني . وفي سنة ١٩٥٧ وقعت الدولتان اتفاقية منحت غانا بموجبها عشرين مليون دولار . وفي الفترة ما بين ١٩٥٨ - ١٩٦٠ ساهمت إسرائيل في إنشاء مدرسة الطيران

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة السابعة ، عدد ٤ .

(٢) المصدر السابق ، السنة السابعة ، عدد ٥ .

الحربية الغانية، كما قامت بإنشاء منظمة على غرار الناحال عام ١٩٦٣ [١] .

وفي السنغال قامت اسرائيل عام ١٩٦٣ بإنشاء منظمة للشبيبة السنغالية على غرار منظمة الناحال، يديرها ضباط اسرائيليون . وفي عام ١٩٦٥ زار المشرفون على المدارس الزراعية الستة في السنيغال اسرائيل وذلك لحضور دورات تدريبية خاصة استمرت لمدة ستة أشهر. وقد أمضى هؤلاء المشرفون معظم هذه الفترة لدى منظمتي الجادنا (كتيبة الشباب) والناحال (فرقة الشبيبة المقاتلة) [٢] .

وفي ساحل العاج قام سبعة ضباط اسرائيليين عام١٩٦٢ بتدريب مرشدين على إنشاء مستعمرات زراعية في أدغال ساحل العاج . وقد تم فعلاً تدريب أول فريق من المرشدين وهو مؤلف من ١٢٨ نفراً وضابطاً احتياطياً . وفي عام ١٩٦٣ أسس ضباط اسرائيليون مدرسة عسكرية في ساحل العاج ، كما قاموا بإرشاد جيش البلاد على تسيير ستة مزارع . وفي تموز من السنة نفسها أعلنت حكومة ساحل العاج أن ضباطاً اسرائيليين سيقومون بتنظيم فرقة نسائية في الجيش ، كما تم في تلك السنة إنشاء منظمة

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ ــ ٧ .

(٢) المصدر السابق ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ ــ ٧ .

مماثلة للناحال بإدارة ضباط اسرائيليين [١] .

وفي تانزانيــا أرسل خمسة عشر ضابطاً وخمسة طيارين حربيين ليتدربوا في إسرائيل عام ١٩٦٣. كما ساهمت بعثات اسرائيلية مختلطة مؤلفة من الضباط والمزارعين في إنشاء تنظيمات الشبيبة وفي تدريب أعضائهـا على غرار منظمات الناحال والجادنا [٢] .

وفي كينيا تدرب ثلاثون ضابطاً من الجيش الكيني وخمسة طيارين عسكريين في اسرائيل وذلك في عام١٩٦٣ أي قبل حصولها على الاستقلال السياسي [٣] .

وفي يوغندا دربت اسرائيل عــام ١٩٦٣ خمسة عشر ضابطاً وخمسة طيارين حربيين ، وقــد تم تدريب كتيبة من كتائب الجيش اليوغندي في اسرائيل ، كما أخذت اسرائيل على عاتقهــا مسؤولية تدريب السلاح الجوي اليوغندي . وقد ساهم عالم ذرة اسرائيلي في إنشاء مختبر للنظائر المشعة هناك [٤] .

وفي السودان أسهمت إسرائيل، ومن ورائها الصهيونية

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ — ٧ .
(٢) المصدر السابق ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ — ٧ .
(٣) المصدر السابق ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ — ٧ .
(٤) المصدر السابق ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ — ٧ .

العالمية ، بقسط وافر في تأييد ومساندة حركة الانفصال الصليبية التي تهدد بانقسام البلاد . فهي حريصة على خلق المتاعب للمسلمين والعرب ، كما أنها ترى أن من الممكن صرف السودان عن المساهمة بنصيب فعال في الكفاح الاسلامي ضدها اذا ما شغلته من جهة الجنوب ، وذلك بتغذية العناصر المناوئة . وقد اتضح جلياً أن لها نشاطاً واسعاً تديره من اثيوبيا التي ما تورعت قط عن الاعتراف بها . وها هي الآن تمد نشاطها إلى تشاد وستمده الى كل الجارات حتى تكون السودان عبارة عن أرنب تحيط به من كل الجهات النمور والأسود [1] .

وكان بروفيسور «ليبون» اليهودي ، عميد كلية الآداب في جامعة الخرطوم سابقاً ، قد ذكر في محاضرة ألقاها في أروقة الجامعة: « ان السودان سيتطور تطوراً ملحوظاً في سنة ٢٠٠٠ وستكون هناك مراكز عديدة للذرة تحت إدارة الاسرائيليين ، هذا في الجزء الشمالي من السودان ، أما الجزء الجنوبي فإنه سينفصل وينضم الى دولة تنشأ يومئذ واسمها « دولة أواسط افريقيا » !! [2] .

---

(١) جريدة « الميثاق الاسلامي» السودانية ، الأعداد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، تموز ١٩٦٥ .
(٢) المصدر السابق ، الأعداد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، تموز ١٩٦٥ .

أما في تشاد ، القابعة على حدود السودان الغربيـة ، فإن للنفوذ اليهودي هناك ، وعلاقاته بالسلطات المسيحية الحاكمة، قصة معروفة دميت لها القلوب، ولا زالت تسحّ دماً كلما مرت أحداثها وتفاصيلها المؤلمـة في ذهن مسلم يمتلك ذرة من اهتمام بأمور المسلمين . وتبدأ القصة – التي سنورد خطوطها الرئيسية بإيجاز – يوم أن استقلت تشاد وسعى الاستعمار – كعادته – الى تولية رئاسة الجمهورية لرجل غير مسلم، ووقع الاختيار على « فرانسو تيبني » ، ثم جرى تشكيل الوزارة التي ضمت ستة عشر وزيراً قسموا الى قسمين ثمانيـة من المسلمين وثمانية من غير المسلمين بين وثنيين ومسيحيين . وكان هذا التقسيم في حد ذاته ظلماً وإجحافاً بحقوق المسلمين ، إذ أن عددهم في تشاد يبلغ مليونين بينما يبلغ عدد غير المسلمين حوالي ٨٠٠ ألف فقط.
وفي شهر آذار ١٩٦٣ وصل سفير اسرائيل الى تشاد مما أثار غضب المسلمين هناك فاتصل قاضي القضاة بوزراء الدولة الخارجية والعدل، كما قابل سكرتير حزب (ارديا) الحاكم ، وتكلم معهم بأنه لا يجوز أن تقبل الحكومة سفيراً لإسرائيل وأن هذا يتنافى مع علاقات وروابط مسلمي تشاد بإخوانهم في البلاد العربية والاسلامية ، لأن اسرائيل دولة معتدية، وتاريخهـا وتاريخ اليهود معروف بالنسبة للمسلمين من أول فجر الاسلام حتى اليوم ، وأن قضية فلسطين إنمـا تخص

كل مسلم ومسلمة في جميع أنحاء العالم ، وأنه زار القدس بنفسه أثناء اجتماعات المؤتمر الاسلامي ، ورأى الظلم الذي أوقعه اليهود بالعرب... فوعدوا أن ينقلوا هذا الى رئيس الجمهورية وأن يظهروا عدم رضاهم عن هذا الموضوع .

وفي اليوم التالي قام سفير اسرائيل بمقابلة وزير الخارجية الذي قابله مقابلة جافة وغير لائقة ، فتوجه السفير لمقابلة رئيس الجمهورية ونقل اليه ما جرى من وزير خارجيته ، فتأثر الرئيس تأثراً بالغاً وطمأنه أن كل شيء يسير نحو الأحسن . وفي ٢٢ آذار أجرى تعديلاً وزارياً أخرج بموجبه جميع الوزراء المسلمين من مناصبهم واستبدلهم بوزراء غير مسلمين .. ونفى وزير التربية خارج البلاد . وفي نفس اليوم أمر رئيس الجمهورية باعتقال قاضي القضاة ووزير الدولة ورئيس الجمعية الوطنية ووزير العدل وعدداً من الشخصيات. وبعد خمس وثلاثين يوماً أُحضروا للاستجواب ، فكانت النتيجة أن تقرر إخراج قاضي القضاة ونفيه باعتباره ليس من سكان البلاد الأصليين، ومصادرة جميع أمواله . وبقي الآخرون رهن الاعتقال .

وعندما كشف رئيس الجمهورية ، إثر ذلك ، محاولة اسلامية لقلب نظام الحكم جابهها بالقوة ، فأدى ذلك الى انفجار ثورة شعبية باءت بالفشل بعد قتل حوالي ألف شخص وجرح عدة آلاف ... ثم جرت محاكمة صورية لزعماء

الحركة والوزراء السابقين وصدرت أحكام مجحفة بحقهم ، تتراوح بين السجن المؤبد والخمسة عشر عاماً . هذا ولا تزال حالة التوتر وعدم الرضا بادية في تشاد حتى يومنا هذا . والزعماء المسلمون متألمون غاية الألم لأنه لم تبد من جانب الحكومات العربية ، أو المنظمات الاسلامية ، أيـة بادرة للاحتجاج على هـذا الإجحاف الصريح ، ولا سيما الدول العربية التي ما قام مسلمو تشاد بما قاموا به إلا وفاء لحقها وحرصاً على ألا تتغلغل اسرائيل في بـــلاد اسلامية افريقية [1] .

واليوم يقوم السفير والمبعوث فوق العـادة الاسرائيلي « اليعزر ارمون » ، من مركز السفارة في شارع « تلهو » في « فورت لامي » العاصمة ، بنشاط محموم ضد الوحدة الوطنية لشعب تشاد ، وبث الحقد تجاه المسلمين !! [2]

فإذا ما انتهى بنا المطاف الى الحبشة ، فسنرى مثلاً واضحاً للنفوذ الصهيوني في بلاد افريقيا ، وسنرى تحالفاً عميق الجذور بين اليهودية والمسيحية، تحت ظلال الامبريالية الامريكية ، وخلف غطـــاء منظمة الوحدة الافريقية ومؤتمرات القمة والحياد الإيجابي.. كيف لا ؟ وزعيم الحبشة

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة الثامنة ، عدد ٥ ، عن رسالة من مواطن تشادي .

(٢) الشهاب ، السنة الثانية ، عدد ٢٤ ، شباط ١٩٦٩ .

(سبط يهوذا) يدعي بفخر واعتزاز انتسابه الى الدم اليهودي ، ويطبع على رايات بلاده ذات الأكثرية المسلمة أسد يهوذا ؟

لقد كُتب الكثير عن هذا الجانب المكشوف من علاقات الامبراطور : كتباً وأبحاثاً وتقارير صحفية ، فضلاً عن نشرات ودراسات جبهة التحرير الارتيرية.. تماماً كما كتب الكثير عن الوجه الآخر من علاقاته الاستعمارية والكنسية. ولذا سنكتفي هنا بسرد وتحليل بعض الأمثلة فحسب ، كنماذج واضحة للدور الذي تلعبه الصهيونية واسرائيل بين الأقوام السوداء .

في عام ١٩٦٤ قامت بعثة اسرائيلية برئاسة مدير المخابرات بزيارة ارتيريا ، وطافت في المديرية الغربية حيث توجد معاقل الثوار ، وتتصل مناطق الحدود الارتيرية ـ السودانية ، ومكثت هناك أسبوعاً (٥ ـ ١٩٦٤/٤/١٢) . وقد استقدمت اثيوبيا على أثر ذلك أربعين ضابطاً اسرائيلياً لتدريب الجيش الاثيوبي على حرب العصابات.. وقد شوهد بعض الضباط الاسرائيليين مع القوات الاثيوبية أثناء ملاحقتها للثوار في الجبال الارتيرية . كما قام الضباط الاسرائيليون بتدريب طلبة الكلية البحرية الاثيوبيين على حرب العصابات في جبال قندع ، استعداداً لمعارك برية ضد السكان الارتيريين . وفي مستهل الشهر نفسه (نيسان

١٩٦٤) بعثت اثيوبيا ستة كولونيلات من البوليس الارتيري الى تل أبيب لقضاء فترة تدريبية هناك .. كما يوجد في اسرائيل اثنان وعشرون ضابطاً من البوليس الارتيري يتلقون تدريبهم العسكري هناك . وقد لوحظ وجود الضباط الاسرائيليين في صفوف الجيش الاثيوبي أثناء الحرب مع الصومال [١] . وأكدت جبهة التحرير الارتيرية ، في نشرة دراسية لها ، « وجود قواعد عسكرية اسرائيلية حديثة وزوارق حربية في المياه الاقليمية لأرتيريا » . وبعد فشل الجيش الاثيوبي في حرب الحدود مع الصومال عام ١٩٦٥ تولت اسرائيل تدريب وحدات الفدائيين التابعة لجيش الحبشة .

وأما في الميدان الاقتصادي فقد تمكنت عدة شركات اسرائيلية من تأسيس مراكز لها في أديس أبابا وفروعها في ارتيريا لاحتكار السوق وتصريف المنتجات اليهودية . وقد تم في منتصف تموز عام ١٩٦٤ في ارتيريا انتقال مشروع (سيا) الزراعي في (تسنا) و (علي قدر) الى شركة (انكودي) الاسرائيلية للحوم . وقد سبق إجراءات البيع اضطهاد منظم من قبل الحكومة الاثيوبية للشركة (الوطنية) حيث فرضت عليها ضرائب باهظة ، وعرقلة تصدير منتوجاتها للخارج، وذلك بعد التواطؤ مع الشركة

(١) المسلمون ، المجلد الثامن ، عدد ٨ .

الاسرائيلية التي يمتلك بعض كبار الرأسماليين الاثيوبيين أسهماً فيها . ومن المعروف أن هذا المشروع تبلغ مساحة أرضه خمسين ألف فدان ، وهي من أخصب الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف نهر (الجـــاش) وعلى بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من حدود السودان الشرقي . وتروى أراضي المنطقة بشبكة من القنوات المنظمة تنظيماً رائعاً ، حيث يعتبر القطن المحصول الرئيسي ، كما تنمو في المشروع الحبوب ذات القيمة النقدية والذرة [١]. ويقوم القسم الرئيسي للشركة اليهودية في أسمرة ، عاصمة ارتيريا المغتصبة ، ولها فروع في أديس أبابا والصومال الفرنسي (جيبوتي) . وهي تنتج يومياً ٣٥ ألف علبة و ٣٠٠ طناً من اللحم المثلج و ٣٥٠٠ قطعة من الجلود . ولها مصانع لتحويل فضلات اللحوم والعظام والشحم الى مواد أخرى [٢] .

وفي عام ١٩٦٦ أبرم عدد من الاتفاقيات بين حكومة الحبشة واسرائيل أهـدت حكومة الامبراطور لإسرائيل بموجبها : خمسين ألف هكتار (٥٠٠,٠٠٠ دونم) لزراعة القطن، بعد أن نزعتها من أصحابها المسلمين، وهي بالقرب من ضفاف نهر (ستيت) الكبير النابع من جبال ارتيريا ، ومنحتها لشركة (انكودي) الاسرائيلية . وعشرين ألف

---

(١) المسلمون ، المجلد التاسع ، عدد ٢ ، ٣ .

(٢) حضارة الاسلام ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٦ ، ٧ .

هكتار لشركة اسرائيلية لتربية المواشي والخضار ، ولهذه الشركة فروع لتربية المواشي في عدة مناطق من اقليم (هرر) الاسلامي . وألفي هكتار لشركة (اناجن) الاسرائلية في منطقة (عياش) . وهذه الهبات رمزية ليس إلا .. وتعتبر رمزاً لتوطيد عرى التعاضد بين الحبشة واسرائيل . أما القوارب الاسرائيلية لصيد السمك من البحر الاحمر فإنها تعمل في ميناء (مصوع) الارتيري المسلم ، وتشحن الاسماك ، بإذن الحكومة الاثيوبية ، من المستعمرة الى ميناء ايلات بدون أي معاملات أو رسوم جمركية . وفي إيلات تعلّب وتصدّر مرة أخرى الى خارج اسرائيل ولا سيما القارة الافريقية . كما أتاحت حكومة الامبراطور لمجموعات تفوق الحصر من الجزارين الصهاينة بالإقامة فيها [1] . وجاء في نشرة دراسية لجبهة التحرير الارتيرية: «ان اثيوبيا تتحمل المسؤولية الأولى في هـذا الإفقار (لأرتيريا) بتجميدها لإمكانيات البلاد الاقتصادية ، وتطبيقها لسياسة الاحتكار الزراعي والحيواني ، بالاتفاق مع الرأسمالية الاسرائيلية » .

وذكر «الحاج ابراهيم احمد أبو بكر الهرري» أحد زعماء جبهة التحرير ، في مقابلة أجرتها معه مجلة (حضارة الاسلام) في دمشق ، ان المسلمين في الحبشة « ساخطون جداً على الحكومة لهذا الموقف المشين من اسرائيل ، ولهذا التعاون

(١) حضارة الاسلام ، السنة السابعة ، عدد ١ .

السافر الوثيق ... ان تعاون هيلاسيلاسي وحكومته مع اسرائيل جريمة شنعاء وخيانة دامغة .. ان المسلمين في الحبشة ، وفي كل مكان ، لن يرضوا أبداً عن وجود اسرائيل ، وان فئة الامبراطور فقط هي التي اعترفت بإسرائيل عدوة الانسانية »[1] .

وتمر الأيام ... ويجيء صيف عام ١٩٦٧ ، وتستعد اسرائيل لشن هجومها على البلاد العربية ، وبينما يجتمع مجلس الوزراء الصومالي ويقرر استعداده لتقديم معونة عسكرية للعرب في معركتهم المقبلة ضد اسرائيل، وتفتتح مكاتب لتسجيل المتطوعين في المدن الصومالية الكبرى ، وتطلب الحكومة من الحبشة السماح لطائراتها الحربية باجتياز المجال الجوي للحبشة .. نجد أن حكومة الامبراطور تقوم في الرابع من حزيران (!!) بحشد قوات عسكرية على الحدود الشرقية للسودان بقصد إشغالها عن التدخل الفعال ضد اسرائيل . كما أمر بإرسال نجدة غذائية مستعجلة الى اليهود تتكون من ١٥ ألف رأس من الأبقار . وكان المبعوث الخاص لرئيس وزراء اسرائيل قد اجتمع بهيلاسيلاسي في ٦/٢٥ وقال، قبل سفره الى نيروبي : انه اجرى تبادلاً

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة الخامسة ، عدد ١ . وانظر : المسلمون ، المجلد الثامن ، عدد ٥ .

واسعاً في وجهات النظر مع الامبراطور [1] !! وأعلنت مجلة (أخبار الولايات المتحدة) والتقرير الدولي في ١٩/٦/١٩٦٧ « ان انتصار اسرائيل في الشرق الاوسط قد يخفف على اثيوبيا وبلاد القرن الافريقي الاخرى ، الاضطرابات التي تثيرها بعض دول المنطقة . وكذلك يعزز موقف الولايات المتحدة في شمال شرقي افريقيا وحوض البحر الاحمر ، على الأقل في الوقت الحاضر » !!

ونتوقف في استعراضات نماذج المحبة والتعاون بين هيلاسيلاسي وعشيرته الاقربين عند فجيعة حزيران .. فما حدث بعد ذلك معروف .. وأنا إذ أكتب هذا .. أسمع من المذياع أنباء تشير الى أن مؤتمراً جديداً لزعماء دول (منظمة الوحدة الافريقية) سيجتمع في أديس أبابا (مطلع ايلول ١٩٧٠) ، وان كبار الزعماء العرب والمسلمين في القارة ، سيحضرونه نظراً لأهميته القصوى !!

ترى .. ألم تكف لطمة حزيران لتمزيق الأقنعة وإزاحة الزيف المرير؟! أم أن هذه اللطمة لم تؤد سوى الى كشف العاملين في المنظمة الافريقية، بينما استمروا هم في مناصبهم يمارسون سياساتهم القديمة ذاتها ، كأن لم يتغير من الأمر شيء، اللهم إلا عنوان المنظمة الذي أصبح يقول بصراحة ان الوحدة الافريقية تساوي وحدة المصالح الامريكية – الصليبية – اليهودية ؟!

(١) حضارة الاسلام ، السنة الثامنة ، عدد ١ – ٢ .

الفصل الثاني

التبشير .... أ تنصير

رافق النشاط التبشيري، بقطاعيه الكاثوليكي والبروتستانتي، كلا الاستعمارين القديم والجديد .. مهد لهما ، وفتح أمامهما الطريق، ولقي بدوره تشجيعاً وحماية واسعة النطاق شملت كل احتياجات هذه المؤسسات: المالية والعسكرية والسياسية والثقافية . فكان محتوم اذن أن يعمل كلا الطرفين ، في العقود التالية ، في جو من التعايش السلمي والتخطيط المشترك . وكان من المحتوم اذن أن يعمل الطرفان على سحق كل ما يشكل عائقاً يحول دون تحقيق أهدافهما المشتركة . ولا ريب أن الحركات الاسلامية كانت تشكل السد الاعظم أمام محاولات هؤلاء :

أولاً : وجد الاستعمار القديم المسلمين يقودون حركات المقاومة والكفاح المسلح ، بدافع من إيمانهم العميق بالجهاد، وبأن أي مسلم يوالي الكفار الدخلاء فهو منهم: «فمن يتولهم منكم فهو منهم» «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»... وقد تميزت هذه الحركات بالفدائية ، وبذل كل ما تملك في سبيل تحقيق كلمة الله . وقد حذر السيد G.W.Caropenter

(١٩٥٥) وهو الأمين العام الممثل للمجلس الافريقي في قسم البعثات الاجنبية للمؤتمر الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة من الخطر الاسلامي ضد الاستعمار الغربي بقوله : « وهكذا فإن الاسلام في افريقيا يهيىء مركز الحشد لكل أولئك الذين يقاومون التدخل الغربي، نشاطه أو سيطرته».
(The Role of Christianity and Islamic Contem Poravy Africa) وذكر Bryan (١٩٦٥) انه «في المستقبل القريب سيجد الغربيون أنفسهم في صدام مع ثقافة موحدة أكثر عداء لتدخلهم مما شوهد اطلاقاً تحت الظروف القبلية».
وفي الوقت نفسه يظهر دهشته الكبيرة من قوة الاسلام في افريقيا مستشهداً بقول المبشر Billy Graham من أنـــه « مع كل فرد يكسب الى صف المسيح فإن هناك سبعة يكسبون الى صف الله» (Whither Africa) أما جون تايلور، الخبير بالشؤون التبشيرية ، فيضع في كتاب (المسيحية والسياسة في افريقيا) المخططات التي يمكن بواسطتها السيطرة على الأمور السياسية، وتوجيه الانتخابات، وتحطيم المسلمين، الذين هم العثرة الاساسية ضـد الاستغلال الاستعماري في افريقيا . ويسجل بريان شكوى الشبيبة الافريقيـة الحرة من نشاط المبشرين الاستعماري، بعبارات الافريقيين أنفسهم (في الأول كنا نحن نملك الارض، أما هم فكانوا يحملون الانجيل، أما الآن فقد أصبحوا يملكون الارض ، وتركونا

نحمل الانجيل) (لا يوجد في الانجيل شيء عن جمع الأموال من اتبـاع الكنيسة . ولكن هؤلاء المبشرين يجمعون من الكبير والصغير .. وعندما يصلي هؤلاء المبشرون يجعلوننا نرفع رؤوسنا الى السماء، والسبب أنهم ينظرون الى أسفل، إلى الارض طمعاً فيها .. ذلك الذي يفكرون به دائماً .. يعطوك السماء ليأخذوا الارض)[1] ! وهكذا يبـدو أن الاستعمار الجديد وجد هو الآخر في المسلمين قوى واعية تملك ، أكثر من غيرها ، الوسائل التي تستطيع أن تكشف بها أخطار هذا الاستعمار وأبعاده . ومن ثم فهي تشكل خطراً مباشراً عليه، وتهدد وجوده الخفي بتمزيق أستاره وكشف أقنعته المزيفة .

ثانيـاً : ومن البديهي أن تجد المؤسسات التبشيرية في الاسلام خطراً حقيقياً ، ونداً قوياً لنشاطها وجهودها ، ليس بما يمتلك المسلمون من إمكانات الدعوة والانتشار في أرض افريقيا ، ففي هـــذه النقطة بالذات يبدو التفوق واضحـاً للمؤسسات التبشيرية التي تسندها أغنى الدول وأقواها ؛ ولكن بما في الاسلام نفسه من حيوية وسماحة ووضوح واندفاع ذاتي وإقناع ، تقف وراءه دائمـاً العناية الإلهية التي جعلت من هذا الدين طريق البشرية الاخير .

---

(١) محمد نذير السنكري ، المسلمون في جمهورية التشاد ، الشهاب ، السنة الثالثة ، عدد ١ ، شباط ١٩٦٩ .

وهكذا يبدو طبيعياً حدوث تعاون كهذا بين الاستعمار والتبشير لإيقاف الخطر الاسلامي عند حده ومحاولة سحقه. ومن ثم فإن أية دراسة لنشاط المؤسسات التبشيرية في افريقيا سوف لن تكتمل وتتضح إلا بإدراك هذا الرباط الحتمي بين الاستعمار والتبشير . فمن هذا الطريق يجد المبشرون امكانات واسعة النطاق: مادية ومعنوية، سياسية وعسكرية ، ثقافية وإعلامية ، لو هيىء للمسلمين عشر معشارها لتمكنوا من فتح افريقيا ، وضم معظم أبنائها الى عقيدة السماحة والوضوح. إلا أن الذي يحد من فاعلية هذه الامكانات الهائلة للمؤسسات التبشيرية ، إنما هو طبيعة المسيحية نفسها بشكلها البروتستانتي والكاثوليكي ، تلك التي تنبثق في أسسها وتصوراتها عن الغبش الذي أحاط به القديس بولس نقاء المسيحية الاولى وتوحيدها الخالص ، ووضوحها وإقناعها . فضلاً عن القيم والتصورات الوثنية التي نفذت الى اعماق العقيدة المسيحية عندما وجدت في اوربا ـ الكلاسيكية ـ المجال الرئيسي لنشاطها وعملها ، ووجدت في الدولة الرومانية ، الوثنية السلوك والتصور ، الحامي الدولي لها .

ومع هذا كله فان الأيام تمضي لغير صالح الحركات الاسلامية في افريقيا ، لأنه على كل ما يملكه الاسلام من حيوية ووضوح وسماحة وإقناع ، وعلى كل ما يحيط

بالمسيحية من جمود وغموض وقيود فـــان الوسائل تنتزع ـ بمساعدة القوى الاستعمارية ـ من أيدي المسلمين يومـاً بعد يوم ، وتتضخم بأيدي المبشرين يومـــاً بعد يوم . وهكذا نجد الظروف المعاشية والنشاط الاقتصادي يتحول لصـالح المسيحيين الجدد ، بينما يتعرض المسلمون لتجويع وفقر لا يحتملان . كما نجـد التعليم والتثقيف ينصبّ على المسيحيين ، بينما تجد المؤسسات التعليمية الاسلامية رقابات شديدة وتدميراً مستمراً ، كما نجد النشاط الاعلامي ينصب لخدمة التبشير بينما تكتم كل الأصوات التي تصدر عن الدعاة الاسلاميين وتحرق كتبهم ونشراتهم ويحرم تداولهـا بقوة السلطات البوليسية ..

وفوق كل هذا ـ وهنـا تبلغ المأساة ذروتها ـ تقوم الثورات المصطنعة ، باسم التحرر لتقضي على ما تبقى من قادة سياسيين لهم بعض العطف على القيم والدعوة الاسلامية ، لينصب مكانهم قـــادة وزعماء صنعوا على عين الكنيسة ورعايتها ، وهم في الوقت نفسه عمـــلاء مستورون أو مكشوفون للاستعمار القديم أو الجديد .. وحتى في الدول التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن التسعين بالمائة تقوم انقلابات كهذه لترفع الى كراسي الحكم والتوجيه العناصر المسيحية ، ولتزيد من تجريد المسلمين — على كثرتهم — من الوسائل والظروف التي تمكنهم من العمل ، بل من الحياة !!

ولا بد لنا بعد ذلك من استعراض سريع لبعض صور ونماذج النشاط التبشيري ومدى صلته الحيوية بالاستعمارين القديم والجديد (الامبريالية) ، وطبيعة الأساليب المتبعة لتشويه القيم والأفكار والتاريخ الاسلامي في أذهان الأفارقة ، من أجل تهيئة الارض الصالحة لمـد النفوذ الكنسي – الاستعماري هناك .

في كتاب التاريخ الذي يدرّس في الصف السادس ، والصفوف الاولى المتوسطة ، والذي ألفه «جورج ديوارد» مدير مدرسة ابتدائية في الكونغو ، تلفت انتباهنا هذه الفقرات المترجمة عن الدرس التاسع من الكتاب: «... لكن قوانين دولية حرمت تجارة الرقيق حيث انتهت عبر شاطىء الاطلنطي. على أن العرب استمروا في ذلك، بل وضخموا هذه التجارة . لقد كانوا يصطادون ضحاياهم من الشواطىء الافريقية الواقعـة على البحر الأحمر والمحيط الهندي . وعندما وصلوا الى زنجبار سنة ١٨٣٠ سيطروا على البلاد المجاورة وتقدموا الى داخل افريقيا، ثم توغلوا في الكونغو حوالي سنة ١٨٦٣ وأسسوا سوقـاً للرقيق في بلدة (نيا نغويه) ، ومنها تشعبوا في جميع الاتجاهات وسيطروا على ما يقرب من نصف الارض الكونغوية ، ينهبون القرى ويبيدون كل من يجرب أن يقـاومهم .. يقودون الأسرى بالألوف من أطفـال ورجال ونساء وشابات .

لكن كيف كان يفعل العرب ؟ هل كانوا كثيرين ؟ الحق لا. فلقد كانوا هم المنظمون فقط ، كانوا رؤساء هذه الصفقات، وكان في خدمتهم ألوف من الافريقيين المسلمين الذين استأجروهم من السودان ومن بقية بلدان الشمال الشرقي الافريقي المستعربة . كان كل هؤلاء الاستعباديين الغلاظ مسلحين بالسيوف والبنادق بينما لم تكن ضحاياهم تستطيع الدفاع عن نفسها إلا بأسلحة ابتدائية . كان صيادو العبيد يتبعون دائماً نفس الأسلوب: يحاصرون القرية، يقتلون قسماً كبيراً من الرجال ، ثم ينسحبون سائقين أمامهم بقية السكان حيث يقتلون في الطريق كل من لا يستطيع التقدم . وذكر المكتشف «ليفينغستون» انه من احدى القرى أتوا بأربعمائة شخص قتلوهم بالرصاص وأخذوا الباقي للبيع، وان هذا الجيش من العرب والمستعربين قضوا على ٢٧ قرية في مدة يومين. كان العبيد الكونغويون يصدرون الى مصر والجزيرة العربية وتركيا وإيران . وحسب تخمينات الدكتور « شاربونييه » فقد قتل العرب في مدة أربعين سنة وباعوا أكثر من خمسة عشر ألفاً من الكونغويين . لكن شيئاً فشيئاً ، وبواسطة المقالات التي نشرها أوائل المكتشفين ، عرف الاوربيون هذا الوضع واهتم بذلك كثيراً الكاردينال « لافيجري » وملك بلجيكا «ليوبولد» الثاني واندفعا للعمل بقوة ... » سبع دروس تسير على هذا المنوال عدا عن المتفرقات هنا وهناك للذكرى .. ثم يذكر المؤلف في

مكان آخر استجابة الملك « ليوبولد » الثـاني لنداء البابا وإرساله الجيوش لتخليص الكونغو من العرب المستعبِدين، وطردهم بعـد سنتين من الكفاح، ثم تأسيس أول دولة كونغوية مستقلة عاصمتها بروكسل (عاصمة بلجيكا !) وملكها « ليوبولد » الثاني (ملك بلجيكا !)[(١)].

وذكر « ستيفن نيل » في كتابه « تاريخ الارساليات التبشيرية » (ص ٤٨٧ فما بعد) : « ان محاولات جدية قامت في الغرب، في الوقت الذي عانى فيـه الاسلام المصاعب - إثر اندحار العثمانيين في الحرب العالمية الأولى - محاولات لتغيير الموقف السلبي القاسي الذي وقفه المبشرون السابقون من الاسلام، بموقف أكثر إيجابية ولياقة. وعلينا ألا نخلط بين هـذا الموقف والمواقف التي سبقته والتي تميزت بطابع الليبرالية ولكنها فشلت في تقـدير الاختلافات بين الأديان .. ولقد استفاد المبشرون كغيرهم من الغربيين من المعلومات المتوافرة التي جمعها عدد كبير من المستشرقين عن العالم الاسلامي .. (وحددت) خطة يمكن بواسطتها قيام مناقشة مفتوحة حرة (بين الديانتين) لا بد أنهـا ستلقى ترحيباً محدوداً لم يكن قط ممكناً في الاجيال الماضية. وعلى كل حال، فلا هذه الخطة !

---

(١) محمود القاسم : سنوات في الكونغو، حضارة الاسلام، السنة السابعة، العدد ٥ .

ولا أي خطة أخرى غيرها أوصلتنا الى ربح عدد محترم من المسلمين الى الديانة النصرانية . إلا أن تأثير التبشير في الاسلام هو أهم بكثير من عدد المسلمين القليل الذين تركوا الاسلام ودخلوا في النصرانية . واننا لنجد هذا التأثير واضحاً في أسلوب العرض الحديث لشخصية محمد . فلقد عرضت النقط بأسلوب بارع اصبحت معه صورة حاكم الصحراء العربية !! مشابهة تماماً لنجار الناصرة (عيسى ع) وهذا أمر لم يكن يتصوره المستشرقون السابقون »[1] .

وتدل التقارير الواردة عن النشاط التبشيري الواسع في أنحاء افريقيا على أن أهم الخطوط الجديدة البارزة في هذا النشاط هي أولاً : المبادرة الى انتاج أكبر عدد ممكن من القسس والمبشرين السود . ثانياً : توجيه عدد من الأكفاء الذين يعول عليهم من رجال اللاهوت الى التخصص في العلوم المدنية والسياسية كي يشرفوا على مؤسسات ذات ظاهر علماني لإمداد الأفارقة في الشؤون الادارية والاقتصادية. ثالثاً : الترخص في بعض المسائل الدينية التي لا تناسب المزاج الافريقي، كتحريم تعدد الزوجات - مثلاً - حيث صدرت التعليمات العليا المكتومة بإباحة ذلك لمن يعتنق

---

(١) مقال : من اساليب الاستعمار في محاربة الاسلام ، ترجمة ابي همام ، حضارة الاسلام ، السنة السادسة ، عدد ١ .

المسيحية في افريقيا [1] .

وفي رسالة بعث بها (احسان حقي) مؤلف كتاب « افريقية الحرة » الى مجلة (المسلمون) من باريس ، نلتقي بمزيد من الاساليب التي اعتمدها التبشير والاستعمار في افريقيا ، حيث يقول: « لقد عاشت افريقيا عشرات من السنوات مضطهدة معذبة مغلوبة على أمرها ، إذ تكالبت عليها الحكومات والقسس معاً ، وعمل الجميع جاهدين لتنصيرها ، ولكنهم لم يفلحوا . وقد بلغ من تعسف المستعمرين في افريقيا انهم كانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين، فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الاسلامية ويتبرعون بها للكنائس . لا بل قد ارتكبت بعض الحكومات أفظع من ذلك إذ أنها كانت تنتزع من أموال الأوقاف مبالغ طائلة تدفعها للمسيحيين لإطعام حمام الكنائس بينما أهل البلاد يموتون جوعاً في الطرقات ... ولكنهم فشلوا في كسب أحد من أهل البلاد اللهم إلا من الوثنيين أو الاطفال الذين كانوا يأخذونهم أيام القحط والمجاعات فيربونهم وينشئونهم على المسيحية . وإذا كان المبشرون لم ينجحوا بتنصير المسلمين فانهم قد نجحوا بلا شك في إقصائهم عن دينهم بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الاسلامية ، حتى جعلوا كثيراً

---

(١) المسلمون ، المجلد الثامن ، عدد ١ .

منهم يجهلون دينهم ، وحتى صار فريق منهم يجهل انه مسلم ، وهو يمارس الأحكام الاسلامية أو بعضها .. وقد غادر المستعمرون البلاد بأجسامهم بعد أن طبعوها بأفكارهم ومبادئهم ولغتهم أيضاً .. ولما كانت الاقوام الافريقية ، وهي عربية مسلمة ، قد أضاعت لغتها مع مرور الزمن وعتو المستعمر ، فقد اضطر أكثرها بعد الاستقلال أن تتخذ لغة المستعمر لغة لها (الانكليزية والفرنسية) ومن مهازل الدهر أن يضيّع أكثر الافارقة لغتهم العربية ، وافريقيا معقل هذه اللغة بما فيها من جامعات الازهر والقرويين والزيتونة ... »[1] .

إن البعثات التبشيرية الغنية بالوسائل المادية والاعلامية، والتي تؤيدها حكوماتها القوية ومنظماتها المعطاءة ، تبذل نشاطاً محموماً في التبشير بالنصرانية وفي إعاقة سير الاسلام بسبب الهجمات الضارية التي تشنها عليه . وان ٣٥ ٪ من البعثات البروتستانتية في العالم تعمل بنشاط في افريقيا ، كما ان الكاثوليك ليسوا أقل نشاطاً وتركيزاً على هذه القارة من زملائهم . وبالإمكان إعطاء القارىء فكرة عن سرعة وشدة النشاط التبشيري في افريقيا الوسطى على سبيل المثال. فقد كان في الكونغو قبل الاستقلال بعثات تبشيرية أجنبية يبلغ عددها ١٥ ألف بعثة ، وجميعها تعمل بنشاط محموم،

(١) المسلمون ، المجلد التاسع ، عدد ٥ .

وقد تمكنت من جني محصول غني يبلغ تعداده خمسة ملايين شخص . ومقابل هذا العدد الضخم لا يوجد في الكونغو جمعية واحدة للدعوة الى الاسلام ونشر تعاليمه، رغم وجود ما لا يقل عن ٨٥٠ ألف مسلم في الكونغو . أما في جنوب افريقيا فان الكنيسة الاصلاحية الهولندية وحدها تنفق هنــاك ١ إلى ٢ مليون جنيه استرليني سنوياً من أجل التبشير . أمــا تبرعات الموسرين من المسلمين لأجل نشر الدعوة الاسلامية هناك فانهــا تساوي صفراً !! ولا تزال أغلبية السكان من الوثنيين ، ولكن هنــاك الكثير من المسلمين وأقلية ضئيلة من النصارى . ويزداد عدد هؤلاء الاخيرين باستمرار بسبب الجهود التي لا تكلّ والتي تبذلها الأعداد الكبيرة من البعثات التبشيرية البيضاء، وهي تكافح تحت الحمــاية الامريكية والبريطانية ، والمساعدات المالية التي تتلقاها من مختلف الدول الاوربية . وقــد استعمل التبشير، ويستعمل، مصادره الغنية هذه، وأساليبه البارعة، وغدره وخيانته، لاضطهاد الاسلام في افريقيا ومنع تقدمه. وخلال عهد استعمارهم للبلدان الافريقية كانت المعرفة والتعليم محصورتين في البعثات التبشيرية ، وهــذه بدورها كانت تقدم كل العون الممكن والتشجيع والرعاية لأولئك الذين يقبلون الدخول في النصرانية ، وهذا يفسر لنــا الوضع الراهن في معظم الدول الافريقية حيث نجد أن غالبية

السكان هم من المسلمين ، ولكن قيادتهم تقع في أيدي الأقليات الصغيرة النصرانية .

ولنأخذ دولة سيراليون كمثال على ذلك فنجد أن نسبة ٨٠ ٪ من السكان هم من المسلمين ولكن الاقلية النصرانية التي تبلغ نسبتها ٥ ٪ فحسب تسيطر على ١٧ مقعداً وزارياً من أصل ٢٢ . كما نجد أن كلاً من رئيس الدولة ورئيس الوزراء ، ووزراء الخارجية والمالية والإعلام هم جميعاً من النصارى . ويزعمون أن المسلمين متأخرون وغير متعلمين أو مثقفين ، ولذلك فإنهم غير قادرين على تسيير بــلادهم وحكمها . وهذه هي نسب الاكثريات الاسلامية في دول تحكمها أقليات غير إسلامية : السنغال ٩٠ ٪ سيراليون ٨٥ ٪ افريقيا الوسطى ٧٠ ٪ تانزانيا ٤٥ ٪ الحبشة ٤٥ ٪ تشاد ٣٣ ٪ فولتا العليا ٣٣ ٪ . وإذا ما استمر الوضع الراهن المؤلم وغير العادل فان التبشير سوف يسيطر على غرب افريقيا ذات الاغلبية المسلمة الكبيرة التي تستطيع بقليل من إعمال الفكر والجد والنشاط والاهتمام السياسي ، أن تتحول الى دولة من أقوى الدول الاسلامية في افريقيا . ومنذ قرن من الزمن شق « دافيد ليفنغستون » (أكبر المبشرين في افريقيا) طريقاً هناك حدد غايته بأنه (طريق للتجارة والاستعمار والتبشير) . ولتحاول الكنيسة أن تقلب قارة افريقيا الى قارة نصرانية بأية وسيلة ممكنة . وان الانقلاب

العسكري الدامي الذي تم في نيجيريا – عام ١٩٦٦ – يكشف لنا سياق خطط الكنيسة لسحق الاسلام والمسلمين [١] .

وفي رسالة للشيخ « توري» من « دكار» عاصمة السنغال أن ٩٥ ٪ من سكان السنغال مسلمون و ٣ ٪ مسيحيون، والباقي وثنيون يتنازعهم الاسلام والمسيحية ، مع ملاحظة أن حصة الاسلام أكبر لوجود دعاة أكفاء خبيرين بأمور الدعوة . لأن طبيعة الزنوج وعاداتهم أقرب بكثير إلى الاسلام البسيط السمح منه الى المسيحية المعقدة الغامضة.. والسنغال قديم عهد بالاسلام، منذ انطلقت منه منذ ألف سنة حركة المرابطين.. وحتى الوقت الحاضر . وفيه ظهر في القرن الماضي الحاج عمر الفوتي الذي قام بنشر الاسلام وعمل على توحيد شعوب افريقيا على سياسة الاسلام . وقد كاد ينجح في ذلك لولا تدخل الاستعمار الغربي البغيض، وخيانة بعض الأمراء والزعماء.. وهنالك الداعية شيخ الاسلام الحاج ابراهيم إيناس الذي تنقل في عدد من الدول الافريقية، وأخذ يعمل على إدخال السلاطين والأمراء والوزراء الزنوج في دين الاسلام في نيجيريا وغانا وداهومي ومالي وسيراليون وغامبيا . (ثم ما لبث الاستعمار أن جاء،

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة الثامنة ، عدد ٦ (معوقات انتشار الاسلام في افريقيا) قسم الترجمة .

وقام بعمليات قاسية لمحق الاسلام) وأخـذ يعمل بواسطة مدارسه اللادينية والتبشيرية على بث سموم الميوعة والإلحاد والإنحلال في نفوس الشباب، وبذل مجهودات جبارة لتربيتهم وتدريبهم على السخرية بمقدسات الأجداد والتقاليد الاسلامية ليخلف جيلاً يؤمن بأوربا وحدها ويقلدها تقليداً أعمى .. ونتج عـن ذلك أن أصبح غالبية الشبان المتخرجين من المعاهد والجامعات الغربية – وهم الاطارات المدبرة والمسيرة لشؤون البلاد – إما ملحدين أو انحلاليين يؤمنون بضرورة فصل الدين عن السياسة . بينما وجدت المسيحية المجال أمامها واسعاً فسيحاً ، وأخذت تلقى الترحيب والتحيز والتأييد لدى جميع الاوساط الرسمية . إنهـا تقوم بنشاط هائل خطير ترتعد منه فرائص كل زنجي يعرف تاريخ بلاده ، وتتدخل في كل الأمور وخاصة في المسائل المتعلقة بمستقبل الأمة كالتربية والتعليم والقوانين الاجتماعية [١] .

وفي غينيـا قامت الحكومة ، ذات الاغلبية المسلمة ، بمنح قطعة أرض تبلغ مساحتها ٨٨ فداناً لأسقفية (كوناكري) كي تؤسس عليها معهداً كنسياً صغيراً . هكذا نشرت صحيفة بريطانيا الكاثوليكية الاسبوعية : الكون The Universe خبر المنحة في عددها الصادر في ٩–٨–١٩٦٣ تحت عنوان كبير « حكومة مسلمة تمنح قطعة أرض لمعهد كنسي »

---

(١) المسلمون ، المجلد التاسع ، عدد ٩ .

ثم علقت عليه قائلة : « ان عدد الكاثوليك في غينيا يبلغ ٢٢,٠٠٠ أي أقل من ١ ٪ من مجموع السكان . في حين يبلغ عدد المسلمين ٦١ ٪ . هذا وقد أعلن رئيس الاساقفة « تشيدمبو » ان البناء الجديد — على الارض الممنوحة — سوف يطلق عليه (معهد يوحنا الثالث والعشرين) حيث أن الكنيسة الغينية إنما أنشئت في عهد هذا البابا العظيم الذي كان يحب افريقيا حباً جماً ... »[1] ترى .. أيدور في خيال أحد أن تقوم حكومة مسيحية في لندن أو واشنطن أو باريس ، بمنح قطعة من الارض الى جماعة أو معهد اسلامي لبناء مسجد عليها ؟ ألا أن منطق العبيد لا يمكن بحال أن يلتقي بمنطق السادة حتى في الكرم والعطاء !!

أما في نيجيريا فان المأساة أدهى وأمرّ.. ففي مقابلة أجرتها مجلة «حضارة الاسلام» في دمشق مع وفد اسلامي نيجيري زار بعض العواصم العربية ، جرى استعراض للأوضاع الصعبة التي يعانيها المسلمون والنشاط الاسلامي هناك ، جاء فيه ان عدد المدارس التي تدرّس الدين الاسلامي في نيجيريا يبلغ ١٥٠ ، منها ٨٠ تفرعت من مركز (تالم العربي) في (أغيفي) في القسم الجنوبي . ويتولى رئاسة هذا المركز الحاج آدم عبد الله الآلوي الذي اندفع

---

(١) المسلمون ، المجلد الثامن ، عدد ٣ .

الى تأسيسه وإنشاء المدارس الاسلامية نتيجة الشعور بالخطر الكبير الذي يتهدد الاسلام في نيجيريا ، على أيدي الارساليات التبشيرية الاستعمارية التي تمتلك عدداً ضخماً من المدارس والمؤسسات ، الى جانب محطة إذاعة خاصة تذيع باللغة العربية ، وتخاطب المسلمين في نيجيريا تدعوهم الى ترك الاسلام . وقد خصصت جميع برامجها للدس على الاسلام ، والطعن بالنبي العربي العظيم ﷺ ، وتشويه حقائق الاسلام ، وبيان مزايا عقائد المبشرين الاوربيين وحضارتهم... وتعتبر نسبة المدارس الاسلامية العربية قليلة ولا تفي بالحاجة أمام المدارس التي تبشر بعقائد اوربا الاستعمارية ... ولقد ذكر السيد آدم عبد الله في كتابه (موجز تاريخ نيجيريا) : « ان الحكومة الانكليزية تعمل جنباً الى جنب مع الهيئات التبشيرية بحيث تمهد إحداهما الاسباب للأخرى ، كاليدين تغسل إحداهما الاخرى . واستطاع التبشير أن يصيد بشبكاته كثيراً من القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية التي لم يعتنق أهلها الاسلام . كما استطاع – بقوة دعايته الواسعة العريضة – ان يقتنص الشباب الجهلاء من بعض أبناء المسلمين الجنوبيين . ولكن صلابة إيمان الشماليين وتمسكهم الشديد بتقاليدهم وعقائدهم أوصد على التبشير أبواب الدخول الى أراضيهم والتمكن من أهلها ، على الرغم من الدعايات المبذولة عن طريق

المدارس والمستشفيات والمكتبات ، وجميع المغريات التي تغص بها المقاطعات الشمالية . وقد اتخذ التبشير المدارس مصائد لاقتناص أبناء المسلمين ، وقلب حقائق الاسلام الى أباطيل ، وتتبع المطاعن في تقاليد الاسلام والمسلمين بالحق والباطل . وبالأسف الشديد نرى أن تجمد مسلمي نيجيريا على العادات الجاهلية يساعد التبشير في الاتساع والانتشار [١] .

وجاء في رسالة بعث بها « نشار أحمد أعظمي » من « كانو » في نيجيريا الشمالية: « ان معظم الاساتذة الكبار هنا امريكانيون وبريطانيون . وتعلمون ان التاريخ مادة تضم أبحاثاً يمكن أن تختلف الآراء ووجهات النظر في طريقة عرضها .. ويتعمد هؤلاء عرض بعض نقاط التاريخ الاسلامي بشكل مغاير للحقيقة مثل: حياة وتعاليم الرسول الكريم ﷺ ، انتشار الاسلام ، الجهاد ، الصليبيون ، أثر الشعوب الاسلامية في الحضارة الانسانية . بيد أن عرضي لوجهة النظر الاصيلة في هذه المواضع لم يعجب مدير المدرسة البريطاني .. وخيل للرجل اني مبشر .. ومن الجدير بالذكر هنا ان القسم الاكبر من المقرر يتعلق بتاريخ بريطانيا وأوربا .. وقد أخذ المدير يعاملني كمبشر ويرسل للوزارة تقارير كاذبة ضدي .. وقد استطاع قبل

---

(١) المسلمون ، السنة السادسة ، عدد ١ .

سفره الى انكلترا أن ينقلني فعلاً الى مدرسة أخرى . وإذ كان كبير المستشارين لشؤون التربية (وهو بريطاني أيضاً) صديقاً حميماً له ، فقد أخذ المدير يكتب له من انكلترا ، يذكره بي حتى استطاع أن يصل الى غايته تقريباً . إذ استلمت مؤخراً إخطاراً بإنهاء مدة عقدي ، وأن عليّ أن أغادر البلاد . وأعتقد أن من واجبي قبل مغادرة البلاد أن أؤكد للمسؤولين خطورة تدريس التاريخ الاسلامي لتلاميذ لم ينضجوا بعد ، على أيدي المبشرين بطريقة حاقدة مضللة، تجعل أبناء نيجيريا الشمالية يفقدون كل احترام لماضيهم وأبطالهم وأجدادهم، ويخجلون من كل ما فعلوه وحاربوا من أجله، وضحوا بأرواحهم في سبيله . إن السياسة التي تتبعها الحكومة حالياً تعني أن لا يسمح إلا لأولئك الذين يلبسون ثياب أساتذة المدارس الرسمية من المبشرين النصارى أن يعرضوا وجهات النظر الحاقدة المضللة في بعض مسائل التاريخ الاسلامي بنفس الطريقة التي استطاع بها المستشرقون الاوربيون أن يجعلوا هذه المواضيع موضع أخذ ورد ... »[١] .

وذكر أحد زائري نيجيريا أن الاجانب هناك استطاعوا أن يقنعوا المسؤولين في قبائل « الهوسا » الافريقية المنتشرة ما بين الصحراء شمالاً ، والكمرون وتوجو وداهومي

---

(١) المسلمون ، المجلد التاسع ، عدد ٥ .

ونيجيريا جنوباً ، وعددهم يزيـد على عشرين مليون ، وأكثريتهم الساحقة من المسلمين بأن يكتبوا لغة «الهوسا» التي يتكلمونها بالحروف الافرنجية (وهي الآن تكتب فعلاً بهذه الحروف) ، وذلك في محاولة منهم لإبعـاد هؤلاء الأفارقة ، بقدر الامكان ، عن العرب والعربية وقرآنها المبين ، بعد أن فشلوا في محاولة لكتابة اللغة السواحلية المنتشرة بين نحو خمسين مليون في شرقي افريقيا وأواسطها، بحروف افرنجية بدلاً من الحروف العربية . وها هم أولاء يحاولون الآن أن يقنعوا الصوماليين المسلمين بأن يكتبوا لغتهم (وهي غير مكتوبة حتى الآن ١٩٦٥) بحروف افرنجية [١] . وما دامت التجربة قد نجحت في تركيا القريبة من بلاد الضاد ، فأحرى بها أن تنجح في قلب افريقيا، بعد أن اختار العرب بأنفسهم أن يقيموا جدراناً فاصلة بينهم وبين اخوانهم المعزولين هناك .

ولقد وقف الزعيم المسلم أحمدو بللو ، رئيس وزراء الاقليم الشمالي في نيجيريا – سابقاً – كالعملاق يدعو للإسلام في نيجيريا ، ويدفع عنه وسط بحر من النشاط العدائي الذي تولى المبشرون كبره ، ونفخت فيه نار السموم كل من الصهيونية والاستعمار.. وقف كالعملاق يدعو وينافح ، ويدخل الرعب الى قلوب المبشرين وشركائهم.. وقاد بنفسه

(١) المسلمون ، المجلد التاسع ، عدد ٩ .

حملة الدعوة للإسلام بين الوثنيين في إقليمه عام ١٩٦٣ فربح لصفوف المسلمين في آخر العام ستين ألفاً منهم . أما في نهاية عام ١٩٦٤ فكان عدد الذين دخلوا الاسلام على يده (٣٦٦,٨٩٨) وثنياً ومسيحياً . وكان هذا الرقم أكثر بكثير مما ربحته الارساليات التبشيرية ، مجتمعة ، في شمال نيجيريا من الوثنيين خلال ثمانين عاماً .

وخطا أحمدو بللو خطوات أخرى في سبيل تعزيز الوجود والثقافة الاسلامية واللغة العربية في المنطقة، فوثق اتصالاته بالعالم العربي حكومات وشعوباً، وافتتح في اقليمه مدارس خاصة لتخريج مدرسي اللغة كي يأخذوا على عاتقهم مهمة تعليم أبناء المسلمين في نيجيريا لغة القرآن الكريم، وارتقى منبر المؤتمرات الاسلامية ليعلن بصراحة المؤمن عن خطر المبشرين ومدى تغلغلهم ونفوذهم وقوتهم ، وطالب زعماء العرب والمسلمين أن يسعوا لدرء هذا الخطر بالعمل الهادف والجهد الدائب، ولم يسمح لإسرائيلي واحد أن تطأ اقدامه أرض نيجيريا الشمالية ، بينما الاسرائيليون يتغلغلون بالألوف في سائر مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية في الاقاليم النيجيرية الباقية وخصوصاً الاقليم الشرقي الذي (عمّده) المبشرون وأقاموا في عاصمته عام ١٩٦٥ مؤتمراً عالمياً لدراسة مشاكلهم في القارة السوداء (ربما خططوا فيه للتخلص من أحمدو بللو ونشاطه الذي لا يفتر) . كما أقدم

الزعيم النيجيري المسلم على خطوة بالغة الأهمية في مجال الثقافة ، حيث بدأ كتابة لغة «الهوسا» بالأحرف العربية ، قبل أن يأتي خبراء التربية الانكليز ويحولوها الى أحرف لاتينية ليقطعوا كل صلة لسكان غرب افريقيا بالعرب ولغة العرب . كما سعى لاستقدام أكبر عدد ممكن من الخبراء من البلاد الاسلامية (العربية وباكستان) .. وأخيراً ، وقبيل مقتله بأسابيع ، بدأت نقابة المدرسين في نيجيريا الشمالية تطلب من الحكومة العمل على وضع يدها على كل المدارس الخاصة في الاقليم . وكان أحمدو بللو يفكر منذ زمن بهذه الخطوة ، وينتظر فقط وجود المال والمدرسين للقيام بها ، وهي خطوة بالغة الخطورة اذا ما علمنا أن ثمة ٢٧٤٣ مدرسة ابتدائية في نيجيريا الشمالية ثلاثة ارباعها للمبشرين وفيها ٧٢ مدرسة ثانوية ثلاثة ارباعها لهم أيضاً !!

من أجل هذا كله فتح المبشرون والمستعمرون والصهاينة عيونهم على الخطر الذي يمكن أن يشكله هذا الاقليم وزعيمه ضد مطامعهم في افريقيا . والذي يطلع على أحدث ما كتبه المبشرون ، يرى بوضوح مدى الأهمية التي يعلقونها على الاقليم المذكور، والقلق الذي يساورهم من بقائه مسلماً ، ومن إمكانية إنتشار الاسلام عن طريقه الى سائر أنحاء افريقيا السوداء . ومن ثم بدأت المؤامرة مع استقلال نيجيريا في تشرين الاول عام ١٩٦٠ ، حيث راحت الدعاية

المركزة المدروسة على صعيد عالمي تثير إشاعة خوف اقاليم نيجيريا الثلاث من سيطرة الاقليم الرابع (الشمالي) المسلم على الاتحاد كله ، رغم ان الواقع يشير الى عكس ذلك تماماً . فالاقليم الشرقي – مرتع المبشرين ومأوى تلامذتهم النجباء – هو الذي يستأثر بحصة الأسد من الادارات الحكومية في سائر الاقاليم الاخرى ، وعلى الأخص في الاقليم الشمالي المسلم ، حيث يسيطر أبناء الاقليم الشرقي من تلاميذ المبشرين سيطرة تامة على أجهزة الدولة جميعها. فالاقليم الشمالي هو أقل الاقاليم الاربعة تطوراً وثقافة ومالاً وخبرة تقنية نتيجة لسياسة الاستعمار المدروسة التي طبقها على المسلمين من أبنائه ، ولذا يفتقد هذا الاقليم القوى البشرية الغنية المدربة .. فيأتي تلاميذ المبشرين لملء الفراغ ، خصوصاً وأنهم الوحيدون الذين دربهم المستعمر وسلمهم ، قبل أن يترك نيجيريا ، كل مراكز الدولة الحساسة .

وهكذا أصبح الاقليم الشرقي السلاح الذي يضرب به المبشرون، بعد أن انسحبت جيوش الاستعمار إثر الاستقلال، مخلفة جيشاً اتحادياً بلغ عدد النصارى فيه ٧١ ٪ ، وما تبقى فلأبناء الديانات الاخرى ، بما فيها الوثنية والاسلام !! وفي الاشهر القليلة التي سبقت المؤامرة ركزت الحملات المسعورة هجومها على الرئيس أحمدو بللو، وأسهمت

في هذه الحملات، بصورة علنية أو مستورة، اجهزة الاعلام الغربية في اوربا وأمريكا ، وأنى لنيجيريا الشمالية الفقيرة التي لم يكن عندها صحيفة يومية واحدة معتبرة ، أن تكافح الدعايات المسمومة ؟! ومن ثم راحت الاتهامات تنهال على الزعيم المسلم وحزبه بأنهم زوروا انتخابات الحادي عشر من تشرين الاول عام ١٩٦٥ في الاقليم الغربي، تلك التي فاز فيها الحزب الوطني الديمقراطي الذي يتزعمه «أحمدو بللو» و «أبو بكر تفاوا باليوه» ، بأغلبية وصلت الى ٧١ مقعداً من مجموع ٩٤ ، بينما لم ينل الحزب الاتحادي التقدمي الذي يتزعمه « أزيكوي » رئيس الجمهورية أكثر من ١٧ مقعداً . وكانت مطالب الحزب الخاسر هي اعلان حالة الطوارىء في الاقليم الغربي ، وإجراء انتخابات جديدة ، بعد تشكيل حكومة محايدة للاقليم .

رفض « أبو بكر تفاوا باليوه » رئيس وزراء الاتحاد هذه المطاليب التي يبدو أن رئيس الجمهورية كان يقف مؤيداً لها ، وسرعان ما مرض أثناء احتدام الازمة وغادر البلاد الى لندن !! وفي صباح الرابع عشر من كانون الثاني ١٩٦٦ ، وبعد يومين من عودة « الحاج أحمدو بللو » من الديار المقدسة ، بعد أداء العمرة هناك ، هاجمه في بيته نفر من الضباط من تلاميذ المبشرين أبناء الاقليم الشرقي، وقتلوه هو وزوجته وأولاده ، وأحرقوا منزله إمعاناً في

الانتقام . وكان ذلك في « كادونا » عاصمة الاقليم الشمالي المسلم ، ثم منع هؤلاء القتلة – بأمر عسكري – المسلمين من دخول المساجد ، وأخذت الاجهزة الاعلامية الغربية تذر الرماد في العيون وتشيع أن الخلافات السياسية المحلية هي سبب الحادث .

وما لبث المتآمرون أن قتلوا كلاً من «أبي بكر تفاوا باليوه » رئيس الوزراء في لاغوس ووزير ماليته ، بعد خطفهما ، وألحقوا بهما المستر «اكنتولا» رئيس الاقليم الغربي. ولقد قاد هذه المؤامرة الانقلابية « شوكور مانزيجو » من قبيلة « إيبو » النصرانية للتخلص من الزعماء المسلمين الشماليين ، وأصدر أوامره بإلغاء توحيد نيجيريا ، والغاء الحكم الفدرالي، وحل الاحزاب ، وفرض سيطرة « ايبو » على نيجيريا . وبأسلوب مسرحي انطلق صوت الجنرال «ايرونسي» القائد العام للجيش معلناً استيلاءه على الحكم ، ومتظاهراً بأنه سيعيد الامور الى نصابها ، وسينتقم من الثوار. ولكن الثوار هربوا لأن مهمتهم قد انتهت بتصفية أعدائهم ، بينما راح « ايرونسي » يدعّم سلطة « الايبو » النصرانية التي ينتمي اليها ، ولم يقم رئيس الجمهورية القابع في لندن بأي استنكار للاغتيالات التي أطاحت برفاقه في الحكم . وصرح النائب العمالي البريطاني اليهودي «برنارد فلود» الذي كان يزور نيجيريا آنذاك ، أنه يعتقد أن الهدف

هو أحمدو بللو . ومـا لبثت أن اندلعت الاضطرابات ، وعمت الفوضى ، حتى قدر عدد القتلى بثلاثين ألف شخص ما بين مسلم ونصراني[1] .

أما حركة « اوجوكو » الانفصالية ، وسعيه لتكوين دولة بيافرا (حيث ٦٧ ٪ من انتاج نيجيريا للنفط الخام، وحيث تستثمر شركة : شل بريتش بتروليوم ، ثلاثمائة مليون جنيه استرليني سنوياً) فهي مثل آخر من عديد من الأمثلة على المحاولات السياسية العسكرية التي تستهدف إضعاف قوى المسلمين في أنحاء افريقيا وتمزيق وحدتهم ، وتقطيع أوصال بلادهم ، تلك المحاولات التي كانت تنبعث وهي محاطة بضمانات مخططة مدروسة من قبل كافة القوى المضادة للإسلام في افريقيا : استعمارية وصليبية وصهيونية .

ويحدثنا شاهد عيان للأحداث الدامية والمتناقضات التي عاشتها وتعيشها نيجيريا منذ حركة « ايرونسي » ومقتل الزعيمين الاسلاميين أحمدو بللو وأبي بكر تفاوا باليوه ، وحتى الوقت الحاضر، فيذكر[2] كيف أن نيجيريا ما أن بدأت في استقبال عهد من الاستقرار إثر الثورة الاسلامية التي أطاحت بايرونسي وقتلة أحمدو بللو (في ٢٩ تموز ١٩٦٦)،

---

(١) المجتمع ، السنة الخامسة ، عدد ١١ ، شباط ١٩٦٦ ، وحضارة الاسلام ، السنة العاشرة ، عدد ٩ - ١٠ .

(٢) مجلة البلاغ الكويتية ، عدد ٥٨ ، ١٧ حزيران ١٩٧٠ .

والتي قادها زعماء اسلاميون أمثال محمد كرما ومحمد مرتضى وحسن عثمان والكولونيل محمد شوا وغيرهم ، وأتت بالقائد المسيحي يعقوب گوون الى الحكم ، كإجراء مرحلي (!!) لاستعادة وحدة البلاد وقطع الطريق على أيــة محاولة انفصالية .. ما أن تم ذلك حتى راحت قبائل « الايبو » في الاقليم الشرقي بزعامة « اوجوكو » الذي عينه ايرونسي على الاقليم الشرقي ، تستغل فترة المفاوضات الــتي دامت عشرة أشهر ، وتستورد الاسلحة وتكدسها في المستودعات وتدفع أثمانها من خزانة الدولة الاتحادية ، الأمر الذي نبّـه حكومة الاتحــاد الى أن الاقليم الشرقي لم يرسل عائدات النفط وضرائب الاقليم . فما كان من اوجوكو ، بعد أن افتضح أمره ، إلا اعلان الانفصال وتسمية اقليمه « دولة بيافرا » . وفي الحال أرسل اوجوكو جميع الاموال الموجودة في بنوك الاقليم الى يهود سويسرا وباعهم الجنيه النيجيري بعشرة شلنات انكليزية (أي بنصف الثمن) . وعمد اليهود الخبثاء الى إعادة هذه الأموال الى الحكومة الاتحادية التي سرعان ما أعلنت عن تبديل عملتها ، وحددت عشرين يوماً لإجراء هذا التبديل . فاغتنم اليهود الفرصة وأرسلوا عملاءهم السويسريين كسواح ورجال أعمال . ولكن الحيلة لم تنطل على رجال الجمرك في الحكومة الاتحادية ، ففتشوهم واكتشفوا لديهم آلاف الجنيهات المهربة مع الرجال والنساء ، ملصقة

على أجسادهم بالبلاستيك ، فأودعوا جميعهم السجون .

وبدأت الاسلحة تتدفق على «اوجوكو» بالمجان ، لقتل المسلمين .. تتدفق من هولاندة وفرنسا وألمانيا الغربية وايطاليا واسرائيل ، وتبرعت البرتغال بتسعة ملايين جنيه استرليني ، ودفع بنك روتشيلد الصهيوني لأوجوكو مبلغاً قدره ستة ملايين جنيه استرليني خلال اسبوعين ، وأقيم في فرنسا أسبوع لدعم العمل في بيافرا ، واشترك البابا والفاتيكان بتهريب الاسلحة الى بيافرا على بواخر حكومية ، مما يؤكد أن المناداة بفصل الدين عن السياسة أُريد منها إبعاد التشريع الاسلامي ، وتدمير القيم الاخلاقية في البلاد الاسلامية فقط . أما في بلاد الغرب فإن الدين والسياسة شيء واحد . ولا أدل على ذلك من الاموال المتدفقة من الحكومات الغربية على الارساليات التبشيرية لتعليم أبناء المسلمين في مدارسها خدعة فصل الدين عن السياسة . فكان أول ما قاموا به عندما تسلموا الحكم أن فصلوا الدين عن الحياة ، وكرسوا جهدهم لمحاربة المخلصين لأمتهم ودينهم .

وهكذا قامت مؤسسات التبشير بمهمتها خير قيام ، فكانت الساعد الأيمن لأوجوكو في التجسس وتقديم المساعدات والمعلومات والأسلحة ، وبث الفتنة بين الشعب الواحد ، وتأليب المسيحيين ضد المسلمين فاستحقوا شكر أوجوكو على ما قدموا من خدمات . وما أن وصلت

الأنباء الى الشماليين بما حشد اوجوكو من قوات بمساعدة الاسرائيليين والمرتزقة لاحتلال لاغوس ، حتى هب أبناء الشمال هبّة رجل واحد لحمل السلاح والتطوع لإطعام المتطوعين ، واستعدوا للقتال تحت شعار « نيجيريا الواحدة والموت لمدبري الانفصال والصهيونية المجرمة » . وعندما رفضت أوربا الغربية بيع السلاح لحكومة الاتحاد، اضطرت هذه للالتجاء الى الاتحاد السوفياتي وعقدت معه صفقة ميك ١٧ . حتى تم دحر قوات اوجوكو بعد فترة طويلة من القتال انتهت بمطلع عام ١٩٧٠ وبعد قتل وأسر عدد كبير من الطرفين، وكان من بين الأسرى البيافريين ضابطان اسرائيليان تم اعدامهما بعد محاكمة عسكرية بملابس دولتهما، كما جرى ترحيل ثلاثة وثلاثين مبشراً من أجناس مختلفة بعد ثبوت تعاونهم مع اوجوكو .

كان دور الأبطال المسلمين بارزاً في تحقيق النصر على اوجوكو وسقوط بيافرا .. فظل بطل الثورة النائب محمد كرما يقاتل ببسالة في الجبهة الشرقية متبرماً من مجون رفاقه الذين كانوا يحتسون الخمرة مسايرة لزملائهم المسيحيين، فكان يقول : « اذا انغمس المسلم في الشهوات فإنه ينسلخ عن آدميته ، ويصبح خطراً على وطنه ودينه » . وقد استشهد – رحمه الله – في كمين بعد أن سجل عدة انتصارات على جيش الانفصال عند اقتحام المدينة المحاطة

بالأنهر . أما الكولونيل محمد مرتضى فقد ظل يتقدم بقواته حتى سقطت تحت هجماته حوالي ثلث مساحـــة بيافرا . وبقي مرتضى ورفيقه شـــوا يحاربان في الاقليم الشرقي ما يزيد عن السنتين . وعندما لاحت تباشير النصر استدعي الكولونيل مرتضى لينال ترقية عسكرية ويبقى في القيادة بـ « لاغوس » ، كما رقي زميله الكولونيل شوا وأُرسل الى لندن رئيساً لبعثة عسكرية . وبهذا الاجراء الذي اتخذ غدراً بحق هذين البطلين ، تم إبعادهما عن المسرح ، بعد أن سجلا انتصارات كبيرة حتى تمكنا من تحقيق النصر الأكيد ، الأمر الذي جعل القادة في لاغوس يشكون في أن هذين الضابطين يملكان قوة حربية هائلة وجنوداً مدربين على القتال .. فتوجسوا منهما خيفة ، ومنعوا عنهما الذخائر رغم أنهما كانا يخوضان القتال في أقسى جبهة كان مصير بيافرا يتوقف عليها . وفي الأشهر الاخيرة ، وبعد نقل القائدين الباسلين ، سقطت بيافرا (كانون الثاني سنة ١٩٧٠) وفرّ أوجوكو من البلاد بعد أن أودت حركته بما يزيد عن مليون ضحية !! وجنى ثمار النصر من لم يطلق رصاصة واحدة ، ولم يذهب الى جبهة القتال .

وقد أراد الاتحاد السوفياتي أن يستغل بيعه صفقة الاسلحة لنيجيريا فأرسل آلاف الطرود الملأى بالكتب العربية التي تم توزيعها بواسطة جمعية الصداقة الروسية — النيجيرية ،

وبضمنها كتاب بعنوان : « الاسلام : نشوؤه ومستقبله » الذي ألفه الملحق الروسي « ي. كليمونتش » والذي طبع في موسكو عام ١٩٦٨ ، وفيه شتم وطعن وإنكار لنبوة محمد ﷺ . وقد لاقى استنكاراً واسعاً من رجال العلم والثقافة في نيجيريا لما تضمنه من أفكار هدامة .. واحتج الطلاب على توزيعه وأنذروا الحكومة بالاضراب ، فما كان من رئيس نيجيريا إلا أن أعلن – ذراً للرماد في العيون – استنكاره للكتاب .

وهنا قد يتساءل سائل : ما دخل الاتحاد السوفياتي ونشاطه ببحث ينصبّ على ما يعانيه مسلمو افريقيا من ضغوط استعمارية غربية وصليبية وصهيونية ؟ والجواب واضح ومضحك في آن واحد !! إن الكتاب المذكور جرى توزيعه بواسطة جمعية الصداقة الروسية – النيجيرية ، ورئيس هذه الجمعية ، السيد ابراهيم ، مسيحي من الشمال يعمل مع الارساليات التبشيرية !!

وتتحدث مجلة يونج باكستان ديللي (باكستان الفتاة الاسبوعية) التي تصدر في دكا (عدد الاحد ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٥) عن العزلة التي يعانيها المسلمون الافارقة ، وتلقي مزيداً من الأضواء على الاوضاع في ليبيريا ، كنموذج لما يحدث في غرب افريقيا ، بل في القارة جمعاء فتقول : ان الحاجة ماسة لإيقاظ المسلمين من نومهم ،

فهذه المجتمعات المعزولة – في افريقيا – تكاد تغرق في وسط المحيط المتسع لأعدائها . بل اننا رأينا ان الصهيونية والهندوسية قد اتحدتا معاً (ضد هذه المجتمعات) . وتستطرد المجلة قائلة : وليس هناك في ليبيريا دعوة منظمة للإسلام الحق ، وإن كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق مبشروها ليعملوا بجد ونشاط في أنحاء كثيرة من الدولة . ونجد أن المسلمين، بسبب نقص التوجيه الاسلامي ، ليس لديهم إلا فكرة ضحلة عن الاسلام ، ولذلك وبسبب من تنظيم البعثات التبشيرية يسهل على المبشرين تضليلهم ، حتى اننا بسهولة يمكننا أن نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات في كافة أنحاء غرب افريقيا . ونلاحظ ان رئيس جمهورية ليبيريا وكافة أعضاء الوزارة هناك هم من النصارى . وقد كان رئيس الجمهورية مبشراً محلياً في عدد من الكنائس ، قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية ، رغم أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٤٥ ٪ من مجموع السكان (ومن الجدير بالذكر أن الرئيس المذكور يرتدي ثياب الرهبان طوال يومه ، ويمارس أعماله وينتقل من دولة لأخرى وهو بهذه الثياب ، حتى انه في اجتماع ملوك ورؤساء الدول الافريقية الذي عقد عام ١٩٦٣ في أديس أبابا كان هو الوحيد من بين الرؤساء المتعصبين

– من أمثـال هيلاسيلاسي ونكروما – يلبس الزي الديني) [1] !!

أما في الكونغو فقد بلغ النشاط التبشيري هناك ذروته، تحت حماية وتشجيع بلجيكا ، ومن ورائهـا الامبريالية الامريكية وعملائها في المنطقة . وتكاد ترى الرهبان والقسس الكاثوليك في كل مكان هناك .. وكلهم يعملون في الكونغو كمتعاقدين مع الحكومة الكونغولية ويتقاضون منهـا رواتب شهرية . وتأتيهم من مصادر خفية أرزاق لا حصر لها يوزعونها على الاهالي . وهم يشرفون مباشرة على التعليم بجميع مراحله، ويسيطرون بنفوذهم الديني على كل مرافق الدولة . وقد ثارت – قبيل استقلال الكونغو– مناقشات حادة في الصحف والاذاعة، امتدت حتى الوقت الحاضر حول اللغة الرسمية للبلاد ، واقترح كثيرون أن تكون السواحلية لأنهـا الأوسع والأغنى . فثارت ثائرة البلجيكيين والمبشرين ومن حام حولهم بحجة أنهـا لغة المستعبِدين العرب الذين أغرقوا الكونغو قروناً طويلة في البؤس والعبودية ، وبذلك نجحوا في فرض الفرنسية لغة رسمية للبلاد [2] .

---

(١) عن حضارة الاسلام ، السنة السابعة ، عدد ٣ .

(٢) محمود القاسم: سنوات في الكونغو، حضارة الاسلام ، السنة السابعة، عدد ٤ ، ٥ .

وقد تنصّر خلال المائة سنة الاخيرة عدد كبير من المسلمين على يـد المبشرين ، وهنالك الكثير من النصارى الذين كان آباؤهم أو أجدادهم مسلمين . ولا تعترف الدولة بالاسلام، وقد جمع المسلمون أنفسهم بعد الاستقلال وطالبوا بالشخصية المدنية ليكون لهم نوابهم ومدارسهم ومؤسساتهم، ووعدهم رئيس الوزراء السابق «آدولا» بكل خير، ولكنه أبعد عن الحكم قبل أن ينفّذ شيئاً . وقـد اتهمه البلجيكيون والمبشرون بأنه مسلم واسمه أبدوللا (عبد الله) وأنه حذف الباء للتمويه !! وأن أباه سنغالي مسلم [1] .

وعندما يولد للمسلم ولد يجب عليه أن يعمده في الكنيسة التي تمنحه اسماً من عندها ، وإذا لم يفعل ذلك فلا يسجل ابنــه في السجلات المدنية ولا مكان له في الدراسة . ورغم ذلك كله فـان عدداً من السنغاليين والماليين والنيجيريين يقومون بدور كبير في الدعوة للإسلام في الكونغو ، وإدخال الناس فيه ، لكن الكنيسة تقاوم هؤلاء بشكل عنيف جداً ، وتدفع رجـال الشرطة الى ذلك . فمن المناظر العادية هناك أن ترى الشرطة يسوقون العشرات منهم لوضعهم في السجن بضعـة أيام ،

---

(١) محمود القاسم: سنوات في الكونغو، حضارة الاسلام، السنة السابعة ، عدد ٤ ، ٥ .

أو طردهم من البلدة دون أي ذنب مطلقاً [١] .

ومن الجدير بالذكر أن السلطات الكونغولية لا تعترف رسمياً إلا بثلاثة أنواع من المؤسسات التعليمية ، أولاها : المؤسسة الكاثوليكية المرتبطة مباشرة بالكنيسة الكاثوليكية، وثانيتها : المؤسسة البروتستانتية المرتبطة مباشرة بالكنيسة البروتستانتية ، وثالثتها : المؤسسات الرسمية الملحقة بوزارة التربية . وحسب إحصاء إذاعة راديو (ليوبولدفيل) فانه يوجد في الكونغو ثلاثة عشر ألفاً وبضعة مئات مدرسة ابتدائية تبشيرية كاثوليكية ، وسبعة آلاف وبضعة مئات مدرسة ابتدائية تبشيرية بروتستانتية ، مقابل بضع مئات مدرسة ابتدائية رسمية . كما أن هناك من المعاهد الإعدادية والثانوية التبشيرية المئات ، يقابلها عشرات فحسب من الرسمية ، وكذلك جامعاتها ، حيث يديرها ويشرف عليها المبشرون ، والقسم الأكبر من معلميها منهم ، وعددها ثلاث [٢] .

ونمضي مع التقارير الواردة من الكونغو حول اوضاع المسلمين فيها إزاء النشاط التبشيري الواسع فنقرأ في أحدها « ان التبشير بالنصرانية يتم بهمة ونشاط كبيرين ، وان

---

(١) محمود القاسم : سنوات في الكونغو، حضارة الاسلام، السنة السابعة، عدد ٤ ، ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، السنة السابعة ، عدد ٤ ، ٥ .

هناك ما يزيد على ١٥ ألف بعثة تبشيرية نصرانية من كل من امريكا وبلجيكا وايطاليا وفرنسا والدول الاوربية الاخرى ، وهي جميعاً تعمل بجد ونشاط لتنصير السكان وفق خطة منظمة ومدروسة ، بحيث يتم تنصير حوالي نصف مجموع السكان . ولم تدخر هذه البعثات التبشيرية – بالطبع – أي جهد لمحاربة الدين الاسلامي في هذه المنطقة ، إلا أنه رغم كل جهودها فانه لا يزال حتى الآن حوالي ٨٠٠,٠٠٠ ألف مسلم ، وهذه حقيقة مدهشة ومعجزة حية لهذا الدين الذي لا يزال صامداً لكل هجوم عليه من قبل أعدائه . إلا أن مسلمي الكونغو – مع الأسف – معزولون وغير آمنين ، وهم متأخرون ثقافياً ، ويتناقص تدينهم تدريجياً تحت التأثير الاجنبي . وليس هناك رابطة أجنبية لتهتم بشؤونهم ولذلك فان هناك حاجة ماسة لإيقاظ وتوحيد وتقوية هذه القطعة المنعزلة من الأمة الاسلامية . ولقد قدم البلجيكيون أيام استعمارهم للكونغو كل عون رسمي لانتشار المذهب الكاثوليكي ، وحصل الكاثوليك على امتياز دائم للتحكم في التعليم في الكونغو ، وبالإضافة الى ذلك فإنهم يعملون مديرين لهيئة تبشيرية ضخمة تعمل في الكونغو .. ان عدد المتنصرين يتضاعف بسرعة بسبب جهود الجمعيات التبشيرية من (البيض) التي لا تكل ولا تفتر عن العمل لأجل التبشير. وهي تعمل

تحت إشراف وبمساعدة الهيئـــات الامريكية والبريطانية والأجزاء الاخرى من اوربا »[1] .

وفي رسالة من م. ف. ك. من الكونغو ان الكثيرين من الافارقة « سمعوا لأقوال البعض من القسس وصدقوهم بسهولة لأنهم بسطوا لهم بعض الامور ، وتركوهم لعوائدهم القبلية دون أي تغيير ، ولم يدخلوهم في سلّم المدنية . حتى ان للسود كتاباً خاصاً للصلاة يختلف عن كتاب البيض .. أما الآباء الكاثوليك والقسس فلديهم كل شيء . كلهم شحم ولحم وتجـــارة ومصلحة .. كنت معتمداً – يقول كاتب الرسالة – في تعليم القرآن على ترجمة Savazy ، عدو الاسلام ، بسبب لغتها القوية ، ولقد أصلحت فيها كثيراً ، وأريت الطـلاب تحيز الغربيين ضد المسلمين حتى في الترجمة »[2] .

ولن نغادر الكونغو قبل أن نقرأ معـــاً هذا الحوار الطريف الذي دار بين قس وراهب كاثوليكيين وبين شاب كونغولي ، بعد الاستقلال ، والذي ساقه محمود القاسم في مقاله القيم « سنوات في الكونغو » :

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة الثامنة ، عدد ٩ (قلم الترجمة) .
(٢) المسلمون ، المجلد الثامن ، عدد ٩ – ١٠ .

الشاب : هذه حـالة انتقالية سببها انتقالنا المفاجىء الى الاستقــلال دون أن نكون مهيئين لذلك ، لا فكرياً ولا ثقافياً ولا اجتماعياً ، ممـا تقع مسؤوليته على بلجيكا التي كانت تظن انها ستبقى الى الابد ، وسيبقى أبنـاء شعبنا أُجراء وخدم لديها .

القس : لا يا سيدي بل انكم قوم لا تستطيعون الحيـاة وحدكم ، فمداركـكم ناقصة بالفطرة ، وأنا أشرح لكم ذلك وأفهمكم ليل نهـار وأنتم لا تفهمون . انني بين الفينة والأخرى أحدّث نفسي بـأن أغلق كنيستي وألم حاجياتي وأذهب . وابقوا بلا كنيسة ولا دين .

الشاب : ولكن هذا يتنافى مع تعاليم الانجيل !!

الراهب : لا يا سيدي بل ان تعاليم الانجيل هي التي تأمر بذلك ، وقولك هذا يدل على أنك لا تقرأه ، وهذا برهان على عدم استعدادكم للفهم !!

الشاب : ان مـا نمرّ به شيء طبيعي ، والاستقلال شيء طبيعي أيضاً ، وهو ثمن لمـا سنحصل عليه في المستقبل .

القس : ها .. ها .. الاستقلال ! دعني هادئاً ، كل البلاء أتى من الاستقلال !! [1] .

ولا أدل من هذا الحوار على مدى تعشق المبشر الغربي لحرية المواطن الافريقي وتقدمه واستقلاله ، ولا أدل – كذلك – على وشائج الفكر والقلب والوجدان ، تلك التي تشد المبشرين الى اخوانهم المستعمرين !! يقول محمود القاسم : ويتكرر نقاش كهذا اذا اجتمع بلجيكي مع أي انسان كونغولي أو غريب !!

★ ★

فإذا ما تركنا غرب افريقيا ووسطها ، واتجهنا شرقاً ، لنرى ما تفعله المؤسسات الصليبية وساسها هناك ضد المسلمين ، فإننا سنرى الكارثة تزداد فداحة ، والمأساة تزداد وضوحاً ، حيث تركة الاستعمار البريطاني الخبيثة المعقدة ، وحيث مخططات (لندن) التي لا تدع بلداً تغادره ظاهرياً يفلت من بين ايديها قبل مرور قرن من الزمان !! وحيث المؤسسات التبشيرية ترمي بكل ثقلها ونفوذها هناك ، تحت حماية وتوجيه هيلاسيلاسي رائد الوحدة الافريقية ، وحيث يتحول النشاط التبشيري هناك الى حركات عصيان وتمرد ضد الدول ذات الطابع

(١) حضارة الاسلام ، السنة السابعة ، عدد ٤ .

الاسلامي .. وحيث – وهـذا هو الأنكى – الثورات والانقلابات الصليبية الدامية المدمرة الـتي راحت تجتاح الوجود الاسلامي في المنطقة باسم اليسار والتقدم ، ومن ورائها قوى الاستعمار الجديد والصليبية الحاقدة اللذين سخّرا كبار عملائهما في المنطقة لكي يلبسوا لبوس التقدميـة واليسار ، وينقضّوا ، بوحشية داميـة لم تشهدها عصور الغاب ، للانتقام من المسلمين هناك وإبادة أكبر (مقدار) يمكنهم أن يبيدوه منهم .

وليست مذبحة زنجبار التي قتل فيهـا ثلاث وعشرون ألف مسلم من مجموع ستة وعشرين ألفاً ، أو تمرد جنوب السودان ، أو إرهاب هيلاسيلاسي ومجازره الدامية ، أو تسلط الحكومة التشادية المسيحية على رقـاب الكثرة المسلمة ، بمساندة القوات الفرنسية ، ليست هذه كلها سوى حلقات معدودة في سلسلة طويـلة بدأت مع دخول أول رجل اوربي لاستعمار افريقيا أو التبشير فيها .. وستظل تمتد وتمتد، تعزل المسلمين وتقتلهم، تبيح دماءهم وتستحيي نساءهم ، تدمر أمنهم وتسحق سلامهم ، تفصلهم عـن لغتهم وتفتنهم عن دينهم ، تحرق مساكنهم وتبيد قراهم ، تكنس شيوخهم وتعلق شبابهم على رؤوس الاشجـار ، وتحيل نساءهم الى إماءٍ وجوارٍ في قصور السادة والمبشرين والحكام ... ستظل السلسلة الحديدية القاسية تمتد وتمتد ،

تحميهـا منظمة الوحدة الامريكية ، عفواً لافريقية ، ويباركها هيلاسيلاسي ابن البابوية البار، وعميل الاستخبارات الامريكية المخلص ، وسبط اليهـود الحريص ... ستظل السلسلة تمتد وتمتد ، وحكامنا هناك غافلون عما يجري ، أو متغافلون ، يستقبلون بين الحين والحين زعيماً افريقياً بالقبلات والأحضان ، أو يروحون بأنفسهم لزيارة عاصمة افريقيـة لكي يتلقوا هم بدورهم بالقبلات والأحضان ... يزورون ويزارون من قبل نفس الزعماء الذين يقتلون اخوانهم ويفتنونهم عن دينهم .. نفس الحكام - الأصدقاء - الذين يصنعون حلقات السلسلة التي ستمتد وتمتد حتى يجيء اليوم الذي يعلن فيه ، ربما في أدبس أبابا ، وفي بناية المنظمة التي أنشأتها امريكا ، عن تصفية الوجود الاسلامي في افريقيا السوداء ، وعن تهيئة الطريق لإعلان قيام الوحدة الافريقية التي طال عليها الامد.. وحدة صحيحة متجانسة لا مسلمين فيها ولا عرباً .. وحدة تباركها البابوية ، وتحميها دول الغرب الكبرى ، وينفذ مراسيمها حكام صغار لا يجرأون على رفع رؤوسهم لكي يروا ، يروا فحسب ، أن الذين يسيرونهم هم أعداء دينهم ولغتهم ووجودهم ...

ما أن استقلت معظم بلاد شرقي افريقيا ، استقلالها المزعوم ، حتى أخذت البعثات التبشيرية من مختلف بلدان اوربا وامريكا تزيد نشاطها .. وراحت تنثال على القارة بأعداد كبيرة وخطط جديدة ، حاملة معهـا الاموال

والأغذية ، مستقدمة عـدداً ضخماً من الاطباء المبشرين والقسس . وكما تقول جريدة Reporter : « ان افريقيا الدكتور لفنغستون والسفر الطويل على الأقدام بين الغابات والصحارى ، لا تعرفها الجمعيات التبشيرية الحديثة . إن بعضهم اليوم يستعمل الطائرات ليصلوا الى الجماعات الـتي يعملون في أرضها . وثم آخرون يسافرون في بيوت متنقلة مجهزة تجهيزاً طبيـاً .. وبعضهم يبلغ بهم الأمر ، مثل اللوثريين في اثيوبيا ، أن يستعملوا اجهزة إرسال لاسلكية قوية لنشر رسالتهم» ، « إن المبشرين الذين ما زالوا يفدون للعمل في افريقيا هم دائمـاً طراز من الرجال على درجة عالية من التخصص في الشؤون الدنيوية وكذلك في الأمور الروحية . ويوجد اليوم أطباء مؤهلون تأهيلاً عاليـاً ، ومن بينهم جراحون أفذاذ في المراكز التبشيرية النائية . وهناك مهندسون منهمكون في تنفيذ برامج جريئة في الري والكهرباء ، وآخرون من الزراعيين المؤهلين . يحـاولون أن يرفعوا من مستوى قبائل بكاملها عن طريق إدخال محاصيل جديدة ، أو أساليب زراعية أفضل » . « ويبدو أن الافريقيين انفسهم مـا زالوا يكنون احتراماً أكبر للكاهن الذي لا دراهم معه ، والذي كان يقنع بأن يعيش بينهم ويأكل طعامهم ، أكثر من احترامهم لأعضاء الجمعيات القوية ومواعظهم الباهتة ، وأسطولهم الجوي الذي يشقون به

طريقهم فيما كان يعرف بافريقيا الظلماء » . ذلك أن الافارقة ، ربما أحسوا ، أن مظاهر التنمية والإعمار هذه لا يراد بها وجههم ، وأنها ربما تخفي وراءها هدماً ودماراً رهيباً اذا ما اقتضى الامر ذلك !!

وقد ورد في تقرير للمجلس المركزي لمسلمي كينيا أن في مدينة نيروبي – العاصمة – وحدها أربعين كنيسة مبنية بناء حديثاً ، يقابلها للمسلمين ثمانية مساجد قديمة وفي حالة مهلهلة . كما ذكر التقرير « إن الجمعيات التبشيرية تشتري أفضل المواقع لتقيم عليها أبنيتها . وعلى واحد من هذه المواقع اقامت عمـــارة ضخمة من عشرة طوابق تشغلها رئاسة المجلس المسيحي الكيني ، يقابلهـا مكتبنا الصغير المستأجر الذي لا يتسع لتأدية أعمالنا » . ولعل الرسالة التي بعث بها السيد « جمعة مبوندا » نائب رئيس المجلس المركزي لمسلمي كينيا ، الى المركز الاسلامي في جنيف عام ١٩٦٤ ، تلقي أضواء أوضح على النشاط التبشيري في شرقي افريقيا ، وعلى الظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون هناك .. وقد جاء فيها : « ... بيّـن الاستقصاء Survey الذي أجريناه أن الجالية المسيحية قد وحدت نفسها تحت لواء الجمعيات الكبيرة التالية (آ) الكنائس المسيحية لمجلس الكنائس في كينيا (ب) المجلس العالمي للكنائس المسيحية (حـ) البعثة التبشيرية للروم الكاثوليك (د) كنائس اسرائيل.

وهذه الجمعيات تموّل تمويلاً جيداً من روما وبريطانيا والقدس المحتلة وامريكا وفرنسا . إن مقدرتهم على استعمال دعوتهم التبشيرية في التطوير الاقتصادي والاجتماعي للسكان تخلق صعوبات عظيمة في وجه تقدم المسلمين المواطنين في هذه البلاد .. إن ضيق المسلمين يضعهم تحت رحمة الآخرين من موظفي الخدمات الاجتماعية المسيحية ، وذلك عندما يبحثون عن التعليم والمساعدات الأخرى ... وإننا إن حصلنا على مساعدات خارجية فسوف نستطيع أن نتحرك بسرعة لمواجهة النشاط المسيحي والدعاية الدينية الاسرائيلية المتزايدَين، وأن نفعل شيئاً ذا بال لاستنقاذ الثقافة الاسلامية والامور الدينية في هذه البلاد ... »[1] .

وفي التقرير الذي كتبته الدكتورة زهيرة حافظ عابدين التي دعتها هيئة الصحة العالمية ، بالاشتراك مع هيئة إغاثة الطفولة الدولية ، لجولة في اقطار افريقيا الشرقية ، ضمن ستة اطباء اطفال، للاطلاع على ما يبذل هناك من جهود صحية واجتماعية .. في هذا التقرير نلتقي بمزيد من الحقائق عن مآسي المسلمين هناك في مجابهة النشاط الصليبي : « ... إن هذه البلاد وإن كانت مفتقرة عموماً الى معاونة كثيرة للارتقاء بالتعليم على أنواعه ، والنواحي الاجتماعية والصحية ، واستصلاح الاراضي وزيادة الدخل ... الخ

---

(١) المسلمون : المجلد التاسع ، عدد ٢ .

فان مسلمي هـــذه البلاد خصوصاً يقاسون ظلماً اجتماعياً يدعو للأسف والحسرة ، حتى في البلاد التي تتمتع بأكثرية مسلمة كـ « تنجانيقا » ، وتعدادها حوالي ١١ مليون منهم أكثر من ٦٥ ٪ مسلمين . الحاكم مسيحي وجل الوظائف الحكومية يشغلها مسيحيون ، أما المسلمون فانهم في فقر وجهل وذل اجتماعي ، ويرجـــع ذلك لسياسة المستعمر وأساليبه . فمنذ دخل المستعمر هذه البلاد دأب على نشر المسيحية والعمل على القضاء على الاسلام (سواء لأغراض دينية بحتة بالغة في الانتقام للحروب الصليبية ، أو لأغراض دينية ممتزجة بأغراض سياسية وهو الغالب) ، وذلك على النحو الآتي : تقوم بالتعليم مدارس تبشيرية يتجنبها عادة المسلمون الذين لبثوا في حـــالة جهل ، في حين تخرّج من هذه المدارس طائفة الافريقيين الذين اعتنقوا المسيحية، وأُسندت اليهم القيادات ، وشتى الوظائف الهامة . وضع القيادات العليا في يـــد افريقي مسيحي حتى في البلاد التي يكون المسلمون فيها الاغلبية كما قلت . ولقد علمت أنه أول ما دخل الانـكليز اوغندا عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانوناً بألاّ يتولى الحكم إلا مسيحي . الى جانب هـــذا تغلغلت البعثات التبشيرية في كافة أنحاء هذه البلاد تشيد المدارس ودور الحضانة (التي تربي الايتام وأولاد الفقراء على المسيحية) والمستوصفات، وتساندها الآن الهيئات المختلفة (هيئة إغاثة

الطفولة الدولية ، هيئة الصحة العـالمية وهيئة « نافيلد » و « روكفلر » ... الخ) والجامعات والعلماء والاطباء .. كل هؤلاء يعمل على نشر المسيحية تحت ستار العلم ، ويساند الهيئات التبشيرية بشتى الطرق المدروسة لمنظمة . وهكذا نجح المستعمر في تحويل جل ، بل كل القبائل اللادينية الى المسيحية ، (في اوغندا وتعدادهـا ٨ مليون أكثر من ٨٥ ٪ مسيحيون الآن ، وفي كينيا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٦٥ ٪ مسيحيون) ، ولم يبق سوى قبائل قليلة لا تعتنق ديانات سماوية . وهنـا أريد أن أوضح أن المجهود التبشيري مركّز على بث روح عصبية وكراهية للمسلمين وكبرياء عليهم، أكثر منها روح دينية ، وخلق سليم ، فهي مسيحية اسمية يسمح فيهـا بتعدد الزوجات ... الخ ، مـا دام الشخص مسيحياً بالاسم ، ويذهب الى الكنيسة ، ويحقد ويتعصب ضد المسلم ويشعر بأفضلية عليه . هذا وقد اتخذت أساليب شتى لإشعال روح الكراهية بين الافريقيين المسيحيين والافريقيين المسلمين من ناحية ، وبين الافريقيين عموماً والعرب المسلمين عامة من ناحية أخرى . فعملت دعاية كبيرة حول استعباد وتسخير العرب للافريقيين . فمثلاً في صالة الاجتماعات الشهيرة في أديس أبابا ، أول مـا يسترعي النظر في شباك زجاجي كبير بجوار السلّم الداخلي ، رسومات ملونة تمثل العربي

بعقالة يقود جماعة من الزنوج الافريقيين ، مربوطين بعضهم ببعض بالسلاسل . وصـورة أخرى تمثل هـؤلاء الزنوج يفكون عنهم هذه القيود ويتخلصون من هذا العربي الظالم العاتي... وحوالي نصف متحف «تنجانيقا» بـ «دار السلام» عبارة عن صور فوتوغرافية ورسومات تصور هذا المعنى . ولقد قيل لي ان الافريقي الآن يتعلم ويشبع بخطر المسلم، ويقال له ان خطر المسلم والعربي أكبر من الخطر الشيوعي . أما الاقلية من الافريقيين المسلمين الذين ينالون قدراً من التعليم العـالي (ثانوي أو جامعي) فالجهود منصبة على إفسادهم خلقياً .. مما يجعل تعاليم الاسلام أقرب للخيال منها للواقع ، ويجعل المسلم مسلماً بالاسم لا غير . أمـا المسلمون الفقراء والجهلاء فقد بـدأ بعضهم ، بالإغراء ، وللحاجة والفاقة ، يتحول فعلاً الى المسيحية (كما علمت أن نسبة المسلمين في تنجانيقا كانت حوالي ٨٥ ٪ والآن ٦٥ ٪ فقط) . فالمسلم الافريقي عمومـاً معرفته بدينه سطحية نظراً لجهله باللغة والدين » [١] .

فاذا ما أردنا – بعد ذلك – أن نعرف الوجه الآخر للنشاط التبشيري في شرقي افريقيا ، الوجـه السياسي والانقلابي ، فان ثمة أمثلة وتجارب وأوضاعاً عديدة تبرز أمامنا ، ربما كان تمرد جنوبي السودان اشدها وضوحاً .

(١) المجتمع : السنة الرابعة ، عدد ١١ ، (كانون الثاني ١٩٦٥) .

ويمكننا أن نضع ايدينا على أبعاد هذه المسألة من صحف السودان نفسها ، ومن تقـــارير كبار الخبراء والمسؤولين والمراسلين الصحفيين . فقد جاء في التحقيق الذي نشرته جريدة « الميثاق الاسلامي» السودانية ، في اعدادها ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ الصادرة خلال تموز عـــام ١٩٦٥ عن مشكلة جنوب السودان: « ... اننا ننظر للجنوب كمركز لنشاط مجموعة من الشبان الطموحين المستغلين لبـــذر بذور الحقد والكراهية الذين يريدون أن ينشئوا دولة أواسط افريقيا المزمع انشاؤها والتي كانت تعمل لها الكنيسة بكل ما اوتيت من قوة حـــتى تعزل الشعب الاسلامي الكبير المنتشر في طراف القـــارة ، وفي شمال خط عرض ١٠ درجة حتى أقصى شمالها ، وبذلك يتسنى لها وجود مركز كبير تدير منـــــه نشاطها التبشيري الاستعماري الموجه لبقية أجزاء افريقيا . وإلى هذا أشار المؤرخ الانـكليزي ب. م. هولت في كتابه « تاريخ السودان الحديث » (ص ١٤٩) ، كما أشار اليه بروفيسور « ليبون » اليهودي ، عميـــد كلية الآداب بجامعة الخرطوم سابقاً ، في محاضرة ألقاها في أروقة الجامعة حيث قـــال : « ان السودان سيتطور تطوراً ملحوظاً سنة ٢٠٠٠ ... هذا في الجزء الشمالي . أما الجزء الجنوبي فانه سينفصل وينضم الى دولة ستنشأ يومئذ واسمها (دولة أواسط افريقيا) ... » . وسياسة حزب المعارضة بيوغندا

والدولة الجديدة في زنجبار – الملحقة بتنزانيا – لا تدع مجالاً لأحد أن يشك في وجود تلك الفكرة . ومن هنا نلاحظ حرص بريطانيا الشديد على اتحاد روديسيا ونياسالاند ومجهوداتها لخلق رابطة قوية من يوغندا وكينيا على أساس تمكين عملائها من الاجهزة الحكومية وإبعاد ومحاربة الوطنيين الأحرار الواعين .. وتسليط المستعمرين الاضـــواء على هيلاسيلاسي وخلقه كبطل وقائد فـذ ملهم ، ما هو في الواقع إلا امتداد لهذا التخطيط . ودور الكنيسة في جميع هذه الدول هو تعميق الخلاف الديني بين الزنوج وبين المسلمين المنافسين الوحيدين لها الآن في افريقيا ، وخلق شعور قوي زنجي – في الوقت الحاضر – يخشى إعادة نظام الرق ، ويدخلون في روعهم أن الرق ناجم خطره من المسلمين العرب . ويساعد على كل هذا الشعور بالنقص المتمكن في نفوس هذه العناصر .. زد الى ذلك الاغراءات بالمناصب الكبيرة الـتي سينالها الشبان المثقفون العاملون في الدولة المزمع انشاؤها . وعلى هذا فان الكنيسة والقوى الاستعمارية تقوم بتقديم جميع التسهيلات – المادية والأدبية – عـن طريق حكومة الاحرار لجنوب السودان وغيرهـا من الحكومات التي ترضخ لسيطرتها لتقوم بتنفيـذ البرامج الموضوعة ... وخطة فصل جنوب السودان وضمـه لدولة (أواسط افريقيا) المزمع تكوينهـا تقوم على مراحل

عديدة . أولها سياسة العزل الاجتماعي بين الشمال والجنوب حيث لعب الانكليز دوراً حاسماً في هذا المجال .... ثم يأتي دور المرحلة الثانية وتقوم على تكوين حكومة للجنوبيين في المنفى (يوغندا) الآن ، وربما تنتقل الى اثيوبيا أو كاتنغا بعد حين . تتلقى هذه الحكومة مساعداتها من الكنيسة وعملائها – كهيلاسيلاسي مثلاً – ومن وزارة المستعمرات البريطانية وكل الحاقدين على السودان كإسرائيل وجومبي – سابقاً – وربما « تمبل باي » رئيس تشاد المسيحي ، بعد حين ... ومهمة الكنيسة الرئيسية – في الماضي والحاضر – هي تقديم كل المساعدات الضرورية والاستمرار في تحريض المتعلمين حتى تتأكد من أن أرواحهم المعنوية عالية وأنهم يقومون بدورهم كاملاً ، وتقوم بكل ذلك تحت ستار العطف على المظلومين والأبرياء ، وحمايتهم من الظالمين والرق كما تقتضي تعاليم المسيح عليه السلام . أما وزارة المستعمرات البريطانية وعملاء الكنيسة وأعداء السودان فإن مهمتهم ، الى جانب العون المادي ، كسب العطف الخارجي للحركة ، وضمان سلامة بقائهم بيوغندا ومدهم بتذاكر السفر عندما تنتقل المعركة الى خارج البلاد . وكل هذا يعمل في خفاء تام وبواسطة بعض الأجراء المخلصين حتى لا تنفضح خططهم الاستعمارية . وفي الوقت ذاته تعمل الوسائل الدبلوماسية للضغط على حكومة السودان

لكيلا تقدم على طرد المتبقي من القسس – المشرف على الخطة والمحرك الاساسي – من البلاد ، لأن طردهم يعني فشل الحركة .. ثم يأتي دور الخطة العسكرية ..!! » .

ومما يزيد دور الكنيسة في حركة جنوب السودان وضوحاً ، النبأ الذي قامت حكومة السودان بنفيه رسمياً في تشرين الثاني عام ١٩٦٥ ، والذي أذاعه راديو الفاتيكان من أن الجيش السوداني قتل في واد (أرينيو دود) النائب الأسقفي في مديرية (بحر الغزال) ، وقالت في معرض نفيها ان الأسقف يتمتع بصحة جيدة ، وقد دهش لسماعه خبر وفاته !!

وفي رسالة من «اوستر هوفن» بألمانيا الغربية لعبد الرحمن ناولو ، إيضاحات أخرى حول دور الكنيسة المكشوف في مشكلة جنوب السودان ، يقول : « فوجئت في صحيفة Passaner Bistumsblatt الكاثوليكية المحلية التي تصدر بمدينة (باساو) ، بمقال عن السودان مليء بالصور ومعنون بالخط الاحمر العريض : (حرب إبادة ضد المسيحية في السودان – كفاح البلاد الشيوعية للكنيسة صورة لمكافحة حكومة السودان للكنيسة) . ولقد مليء المقال بالشتائم وبحملة لئيمة على السودان المسلم حكومة وشعباً وديناً .. فكتبت الى الجريدة المسيحية موضحاً الحقائق ولكنها

لم تنتشر كلمتي »[1] . هذا وكانت الصحف الاوربية قد درجت على افساح المجال لحملة منظمة ضد السودان منذ عام ١٩٦٢ . وطفقت تلك الصحف تصور ما أسمته باضطهاد المسيحيين في جنوب السودان تحت عناوين ضخمة بارزة . وفي التحقيق الذي نشرته مجلة « الديلي تلغراف » الاسبوعية الصهيونية عن جنوب السودان في عددها ١٨٦ الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٦٨ ، مثال واضح لتلك الحملات، إذ جاء في الصفحة الاخيرة من التحقيق تحت عنوان (تاريخ العبودية) : « ... في السودان عنصران لا يجمعهما عملياً شيء مشترك ، بصرف النظر عن الخط الذي رسم حول أراضيهم بعد انتصار (كتشنر) في (أم درمان) منذ أقل من سبعين عاماً ... وقد كان سكان الجنوب وتعدادهم ثلاثة ملايين ونصف ، لقرون عديدة ، المادة الخام لتجارة الرقيق التي تمركزت في القاهرة والخرطوم . ولقرون عديدة أيضاً اعتبر الشماليون الجنوبيين لا شيء أكثر من عبيد سواء أكانوا فعلاً عبيداً أم أن بالامكان أن يصبحوا عبيداً. وأثناء جيلين من الحكم البريطاني بقي وضع المستعمرة القديمة معلقاً ، ولم تبذل الادارة البريطانية أي جهد لدمج جزئي القطر حتى آخر لحظة .. وعندما سلمت بريطانيا السودان كله في عام ١٩٥٦ ، كقطر سياسي مستقل ، الى الاحزاب

---

(١) المسلمون : المجلد الثامن ، عدد ٢ (ايلول ١٩٦٣) .

الشمالية التي يسيطر عليها العرب ، أصبح السودان جميعاً – رسمياً – مصبوغاً بالصبغة الاسلامية . وبقي التعبير الشائع في أفواه الشماليين عن أهل الجنوب كما هو : (عبيد) ... وفي عام ١٩٦٣ (عندما قام التمرد في الجنوب) أجابت الخرطوم على ذلك بأن أطلقت يد الجيش هناك، وعندها قامت حملة إرهاب ورعب أدت الى مغادرة رجال القبائل الجنوبية الى الكونغو واوغندا واثيوبيا بصفة خاصة . وربما قُتل عدة آلاف من الجنوبيين ، وأُحرقت مئات من القرى المبنية بالطين والقش ، وفرّت أعداد تتراوح بين مائتي ألف وأربعمائة ألف . وقد أدارت منظمة الوحدة الافريقية ظهرها – غالباً – لكل دولة عضو فيها تجابه معضلة انفصالية من نوع ما . والجنوب كله اليوم مشتبك في القتال وليس من المحتمل أن يهدأ من أجل شيء أقل من الانفصال » [١] .

لكن ما هي البذور التي ألقتها المؤسسات الكنسية والاستعمار في أرض السودان ، والتي أنبتت ، فيما بعد ، هذه الثمار المرة التي يعاني منها السودان ، والتي تهدده بالانقسام في كل لحظة ؟ انها – في الحقيقة – قصة كل دولة في افريقيا ، نفس البذور ونفس الثمار.. والزارع هو الزارع : الاستعمار والتبشير .. أما حراس المزرعة فهم حكامنا

(١) الشهاب : السنة الثانية ، عدد ٨ (حزيران ١٩٦٨) .

أنفسهم، أولئك الذين لم يعدوا يوماً أن يكونوا كخيالات المآتي التي يضعها المزارعون في بساتينهم كي تحمي بذورهم ونبتهم الذي لم يستو على سوقه ، من جوعات الطيور !!
ولنقرأ القصة من سطورها الاولى :

جاء المبشرون الى السودان - حسب العادة - مع المستعمر في وقت واحد ، وتمكن الأسقف « جوين » الذي يعتبر مؤسس المدارس التبشيرية في السودان أن يؤسس عدداً كبيراً من المراكز التبشيرية تحت رعاية السلطات الاستعمارية . وقد قامت هذه السلطات بعزل جنوب السودان عن باقي القطر، وكان يعتبر منطقة مقفولة أمام المواطنين الشماليين ، ولا يستطيع الانسان أن يسافر الى الجنوب إلا بإذن خاص .. ولم يكن يسمح للمسلمين مطلقاً أن يبشروا بالاسلام بين القبائل الوثنية، بل لم يكن يسمح لهم بتأدية شعائرهم الدينية علناً خوفاً من اقتداء الوثنيين بهم . هذا في الوقت الذي كانت تبذل فيه الحكومة كل المساعدات للتبشير المسيحي . وعمل المبشرون بنشاط ، ونصّروا عدداً كبيراً من الجنوبيين (٣ ملايين)، وكانوا يتمتعون بسلطات واسعة ونفوذ كبير تحت حماية الاستعمار . فالمال وافر بأيديهم ، ورغباتهم مجابة ، وكل إمكانيات الدولة مسخرة لخدمتهم ، حتى التعليم تركه الانكليز في أيديهم . فبدلاً من أن تتولى الحكومة الاشراف

على التعليم تولاه المبشرون . ومـا دامت الفرصة الوحيدة في الجنوب هي المدارس التبشيرية ، فقـد ضمن المبشرون تنصير كل العدد الذي تستوعبه مدارسهم . وهم يأخذون الاطفال منذ نعومة أظفارهم في مدارسهم حتى المرحلة الوسطى . والعجيب أن وزارة المعارف كانت تدفع ٩٨٪ من نفقات المدارس التبشيرية ولا تشرف عليهـا ؛ ومعنى ذلك أن أموال مسلمي الشمال كانت تنفق على تنصير أبناء الجنوب . أمـا في الشمال فقد كان الوضع يختلف قليلاً ، فقد كانت توجد المدارس الحكومية الى جانب المدارس التبشيرية ، والمدارس الحكومية كانت ملزمة بتدريس الدين الاسلامي لسبب بسيط هـو أن جميع الطلاب مسلمون . أما الطلاب في المدارس التبشيرية فكانت أغلبيتهم المسلمة لا تجد الفرصة لدراسة الدين الاسلامي لأن المدارس التبشيرية لا تسمح بذلك . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، فإن التلاميذ المسلمين كانوا يجبَرون على قراءة الانجيل وحضور دروس الديانة المسيحية .. وخريجو هـذه المدارس على العموم لا يعرفون أبسط مبادىء الاسلام، ويجهلون التاريخ الاسلامي جهلاً تاماً . إنهم لم يصبحوا مسيحيين ولكنهم جردوا من كل علم بالاسلام . ولكأنما شعر المبشرون بأن الاستقلال (١٩٥٦) يعني انتهاء الوضع الممتاز بالنسبة لهم ،

وزوال الحماية الانكليزية التي وجدوا في ظلها الحرية المطلقة في احتكار التعليم . إن مجرد المساواة في الفرص وحصول المسلمين على امتيازات مماثلة ، أدخل الذعر في نفوسهم .. ولعل هذا هو سبب التمرد.. وجاء الاستقلال وظهر بوضوح أن عدداً كبيراً من المبشرين لم يشأ أن يتخلى عما كان يمارسه في كنف الاستعمار من نشاط سياسي ، فكان لا بد من وضع حد لهذا العبث ، ورسم خط فاصل بين التبشير والعمل السياسي ، ومن ثم أُجيز قانون الهيئات التبشيرية سنة ١٩٦٢ . وقبل إجازة هذا القانون مارست وزارة المعارف حقها في الاشراف المباشر على جميع المدارس التبشيرية وفق البرنامج التعليمي العام ، فثارت ثائرة الهيئات التبشيرية واعتبرت هذا العمل انتهاكاً لحرية التبشير وغصباً لحقوقها التي تمتعت بها طوال عهد الاستعمار [١] .

لم يطق الجنوبيون الوضع الجديد وأعلنوا تمرداً أحبطته الحكومة السودانية التي كان هدفها من توحيد السودان شمالاً وجنوباً هو تعريب الجنوب – إن لم نقل إسلامه – وفرضت اللغة العربية كلغة رسمية في دوائر الحكومة والتعليم . ولذا وجد كثير من المبشرين صعوبة في استمرارهم

(١) تقرير لعثمان خالد مضري في المسلمون : المجلد الثامن ، عدد ٣ (كانون الاول ١٩٦٣) .

في عملهم بل المحافظة على أوضاعهم . فالمبشرون الآن يعملون هناك في ظروف صعبة !! ومن حسن حظهم أن عمدوا منذ بدء عملهم هناك الى تدريب أبنـــاء الجنوب المتنصرين على القيام بأعمال التبشير . وهكذا بالرغم من قصر مدة العمل التبشيري هناك ، وتاريخه لا يتعدى ستين عاماً ، فقــد عمدت الكنيسة الانـكليكانية اثنين وثلاثين قساً وستة مبشرين افريقيين . وهذا الأمر هو العمل الثابت المطلوب لإبقـــاء طوائف الكنيسة كلها متماسكة أمام ما ينتظرها من أيام ... حالكة السواد . ولقد بدأ تحسن ظاهر منذ مــدة قريبة في أوضاع التبشير في السودان ، فبالرغم من أن الحكومة طردت مئة مبشر ، فلقد تمكن مبشر انـكليزي أن ينال تأشيرة إقامة دائمة في السودان ، ويعيد العمل التبشيري هناك [١] .

وننتقل الى موزمبيق ، المستعمرة البرتغالية الممتدة على الساحل الجنوبي الشرقي لإفريقيـا ... صورة أخرى من صور الحصار القاسي الذي يعانيه الاسلام والعربية على أيدي قوات الاستعمار وربائبه من المبشرين الذين أدركوا بوضوح أن أي تهاون في هــذا الحصار سوف يقرب – حتماً – أجل الاستعمار والتبشير ، وينقل موزمبيق الى الحريـة

---

(١) حضارة الاسلام : السنة السادسة ، عــدد ١ عن كتاب « تاريخ الارساليات التبشيرية » لستيفن نيل ص ٤٨٧ فما بعد .

والخلاص ، ذلك بمـا يتمتع به الاسلام من قدرة فذة على تحريك أتباعه ضـد قوى الغزو والتسلط والتعصب ، ودفعهم الى الثورة الدائمة والجهـاد العنيف حتى تتحقق أهدافهم التي يلزمهم بها قرآنهم الكريم .

وفي تقرير عـن الاسلام في موزمبيق نجد كيف أن البرتغاليين اعتمدوا أربعـة أساليب للقضاء على الاسلام وهي : استخدام القوة العسكرية والبوليسية ضد الزعماء الاسلاميين وبالأخص في الشمال . تعطيل الدراسات الاسلامية . منع استعمال اللغة العربية [١] ووضع جميع نظم التعليم بين يدي المبشرين الكاثوليك من البرتغاليين . عزل جميع مسلمي موزمبيق من الاتصال بالعالم الاسلامي [٢] . ... لقد كانت الضربة القاصمة للتعليم الاسلامي في موزمبيق تلك الاتفاقية التي وقعها البرتغالبون مع الفاتيكان سنة ١٩٤٠

---

(١) يعتبر القانون الذي سنه البرتغاليون تعليم اللغة العربية في موزامبيق جريمة يعاقب عليها القانون ... ويذكر المسلمون هناك كثيراً من حوادث التعذيب والغدر والنفي لعدد كبير من العلماء بتهمة خرق هذا القانون الجائر وتعليم الافريقيين اللغة العربية .. ومنذ عام ١٩٥٤ قبض على عدد كبير من المسلمين وأرسلوا الى معسكرات الاعتقال أو القتل بحجة أنهم اتهموا بإنشاء علاقات مـع الدول الاسلامية والعربية . (المجتمع : السنة الخامسة ، عدد ١ ، ايلول ١٩٦٥ عن الميثاق الاسلامي السودانية) .

(٢) المصدر نفسه .

والتي تحول أمر تعليم الأفارقة الموزمبقيين بموجبها الى يد الكنيسة البرتغالية الكاثوليكية . وقد طبقت هذه الاتفاقية تطبيقاً فعلياً بقانون التبشير الذي جعل أمر التعليم في يد الكنيسة الكاثوليكية ، والذي جعل من المتعذر على الجماعات المسلمة فتح المدارس لتعليم أبنائها . وهذا يعني أن التعليم في موزمبيق يصبح ممكناً فقط بالنسبة للجماعات المسيحية، وما عداها فلا ، وبالتالي جعل عدد المسلمين المتعلمين قليلاً جداً بالقياس للأقلية المسيحية التي هي أيضاً لا تجد العناية التامة في التعليم من الكنيسة !! إن الوسيلة الوحيدة للموزمبيقي المسلم في التعليم هي أن يهاجر الى خارج البلاد، وهذا أمر متعذر في غاية الصعوبة . وبينما تميزت موزمبيق بروح الوحدة والتضامن بين مختلف عناصرها سواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية ، بالرغم من المحاولات البرتغالية لإحداث الانقسامات في السنوات الاربع الاخيرة ، فقد حاول بعض الافريقيين المغتربين الذين تلقوا تعليمهم في الارساليات، ثم تلقوا اعانات للدراسة في البرتغال، ادخال عنصر معاد للإسلام في موزمبيق . لقد أدرك هؤلاء أن ايام البرتغاليين في موزمبيق محدودة، وظهر بوضوح عزمهم على الحلول محل البرتغاليين كعنصر حاكم ، وبالتالي إنشاء وضع كالذي شاهدناه في عدد من البلدان الافريقية حيث تسيطر عناصر من الاقليات المسيحية التي تلقت تعليمها

في الارساليات ، على الأغلبية المسلمة الـتي لا تملك حتى تلك النخبة من المتعلمين . وقـد تلقت هذه العناصر من الافريقيين المغتربين المتجمعة في منظمة تدعى (فريلمو) تأييـــداً حماسياً من الاسرائيليين والأمريكان ومن بعض الاقطار الافريقية المتأثرة بالاسرائيليين والـتي تملك نظاماً اجتماعياً كذلك الذي تريد منظمة (فريلمو) فرضه على موزمبيق اذا وجدت الفرصة لذلك . وقد أدركت عصبة مسلمي موزمبيق هذا الوضع والتهديد الناشىء عن التدخل الاسرائيلي ، ونقص المتعلمين وســط مسلمي موزمبيق ، واتخذت خطوات لتجنب الكارثة التي تنتج عن هذا الوضع . ويهدف برنامجها الى البحث عن عون الاقطار المسلمة لتوفير التعليم لشباب موزمبيق المسلم ، وإعداد كادر قيادي من المتعلمين ، وهـــو أمر حيوي لتمكين الشعب المسلم في موزمبيق من أن يلعب دوره الصحيح والطبيعي في موزمبيق المستقلة . علماً بأن نسبة المسلمين فيها يبلغ الثلث ، بينما تبلغ نسبة المسيحيين بين ١٠ — ١٢ ٪ والباقي من الوثنيين(١).

أمـا مأساة المسلمين في تشاد الواقعة الى الشرق من السودان ، والتي اطلعنا على بعض فصولها لدى استعراضنا للنشاط الصهيوني في القارة، فإنها لا تقل مرارة عن مآسيهم

---

(١) الاسلام في موزمبيق : حضارة الاسلام : السنة السابعة ، عدد ٤ .

في أقطار افريقيا الشرقية الاخرى ، سيما وأن القوات الفرنسية تتدخل باستمرار الى جانب حكومة الاقلية المسيحية لكبت إرادة الاكثرية الساحقة من المسلمين وهضم حقهم الطبيعي في حكم وطنهم وأرضهم . ولقد طبق الفرنسيون هنا ما طبقه الانكليز والبرتغاليون وغيرهم ، في البلاد الافريقية الاخرى ، من اتباع اساليب التمكين لغير المسلمين وتوليتهم الحكم حتى يكونوا أداة طيعة في أيديهم، وحتى لا يقوى المسلمون ، وبالتالي لا يسود النظام الاسلامي الذي يعتبره الاستعمار الخطر الاكبر الذي يهدد سياسته وكيانه .

وقد كتب السيد جون كولي John Cooley ، مراسل جريدة (كرستيان سينس مونيور) من بيروت ، في مقال تحليلي له عن علاقة السلطة المسيحية التشادية بالقوات الفرنسية في مجابهة الثورة الاسلامية في الشمال ، تلك التي تقودها جبهة التحرير الوطني التشادي (فرولينا) [١] قائلاً:

---

(١) جاء في النداء الذي وجهته الجبهة الى مسلمي العالم : « ان الجبهة قد اخذت على عاتقها ان تقود النضال المسلح في البلاد جاعلة شعارها (النصر أو الموت) تطبيقاً لقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ... » معتمدة على ايمانها بالله ، وحقها المشروع، وما تكتسبه في المعارك من سلاح وعتاد، والتفاف الشعب حولها ومباركته لجهادها ، ثم الأمل العظيم بمساندة ←

إن رئيس جمهورية تشاد تومبال باي Tombal Baye قـد طلب واستلم من الرئيس الفرنسي ديغول مساعدات عسكرية من القاعدة الفرنسية المتمركزة في فورت لامي Fort Lamy عاصمة تشاد . إن قطاع الطرق قـد أجهزوا على القوة

← اخواننا العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تحقيقاً لقوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة» . ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذلـه » . وإن من اهداف الجبهة :

١ - الاستقلال الحقيقي التام .

٢ - طرد القوات الفرنسية وإجلاء كل القواعد العسكرية الأجنبية .

٣ - القضاء على التسلل الصهيوني في تشاد خاصة وفي افريقيا عامة .

٤ - التفرغ لدعم قضية فلسطين خاصة ، وقضايا الوطن العربي عامة .

٥ - استغلال ثروات البلاد زراعة وصناعة .

وبالاجمال فان الهدف هو ما يحقق قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » . وبعد أن تسرد الجبهة في بيانها صور نشاطها في الداخل والخارج ونتائجه ، تستعرض عدداً من جرائم العميل الصليبي (تمبال باي) ، رئيس الدولة ، وآثارها وعلى رأسها:

١ - قيامه بزيارة رسمية لاسرائيل وإنشائه معها علاقات تجارية وثقافية ودبلوماسية نكاية بالمسلمين وتحدياً لمشاعرهم .

٢ - إغلاقه المعاهد الدينية والمدارس العربية.. واعتبار التكلم بالعربية وامتلاك الكتب الاسلامية جريمة يعاقب عليها بالسجن . ←

العسكرية لحكومة تشاد ، وذلك تبعاً لما ذكرته وكالة الانباء الفرنسية .. إن (مسلمي) تشاد ، كأشباههم قبائل الهوسا المسلمة في نيجيريا ، وكذلك المسلمين في جمهورية النيجر ، يرفضون أن يقادوا من المسيحيين والوثنيين

→

٣ – إبادة اربعمائة من علماء المسلمين في (أبشه) لمعارضتهم نظام الحكم القهري واعتقال الزعماء السياسيين والوزراء المسلمين وعدد كبير من النواب، ومنع المسلمين من استكمال دراستهم في المعاهد والجامعات العربية والاسلامية ، وتشريد أعداد هائلة من ابناء الشعب ونفيهم خارج البلاد. (بلغ عدد الذين غادروا البلاد بين ١٩٦٣ – ١٩٦٨ ما يقرب من ١٨٧،٠٠٠ مهاجر، إضافة الى نصف مليون مسلم لجأوا الى السودان منذ عهد الاحتلال الفرنسي المباشر) .

٤ – إحراق القرى انتقاماً من الفدائيين .

٥ – فتح الطريق للنفوذ الصهيوني ، وقد لوحظ اشتراك الضباط اليهود في تدريب الجنود التشاديين .

٦ – مكن للاستعمار الفرنسي ان يتخفى في زي وطني، ويتستر وراء الكنيسة المسيحية لاحتلال تشاد معتمداً على الأقلية الوثنية المقيمة في جنوب البلاد ، وذلك عن طريق نشر التعاليم المسيحية وزرع الكراهية في نفوسهم ضد المسلمين.

٧ – اتجاه الحكومة الى امريكا بواسطة الكونغو كنشاسا ، حيث انضمت معها ومع جمهورية وسط افريقيا في اتحاد استعماري جديد سمي (اتحاد دول افريقيا الوسطى) بغية القضاء على ثورة الشعب التشادي ، وثورة شعوب المنطقة بوجه عام ... » .

الجنوبيين (!!) هـذا وأن نصف الشعب التشادي ينتمي الى الاسلام (!!) وهؤلاء يبلغون ٣,٥ مليون نسمة ، بينما تبلغ نسبة الوثنيين ٤٥ ٪ فقط . (ونحن نعرف مما ذكره T. H. P. Sqiler عميـد الدراسات التبشيرية في الولايات المتحدة في كتابه The Moslim Faces the Future أن نسبة مسلمي تشاد تبلغ ما بين ٧٠ الى ٩٠ بالمئة) .

ويمضي المراسل الفرنسي قائلاً: « والمسلمون عبارة عن خليط من سكان الجبـال الشمالية والصحاري ، وهم ينتمون الى أصول عربية وبربرية ، بينما ينتمي الجنوبيون الى العروق الزنجية، وهؤلاء هم الحاكمون الآن وهم يتكلمون الفرنسية .

إن الرئيس تومبال باي، وهو المسيحي ذو الثقافة الفرنسية، قاد القطر نحو الاستقلال عن فرنسا (!!) ثم تبوأ الرئاسة عام ١٩٦٢ ، ومن المؤكد إعادة انتخابه من قبل المجلس الاتحادي للانتخابات في ربيع ١٩٦٩ (وقد انتخب فعلاً).

هذا وأن حزبه الحاكم (تقدم تشاد Prog Tshadienne) قد أقر الاتفاقات الدفاعية مع فرنسا والتي بموجبها تقاتل القوات الفرنسية الثوار المسلمين . كما أنه أقر في مؤتمره الاخير المنعقد في كانون الثاني ١٩٦٧ وضع الخطط لاستخدام المساعدة المالية الفرنسية في مشروع تخطيط خمسي ينتهي في سنة ١٩٧٠ . وينادي الحزب ببناء الطرقات في المنطقة الجنوبية ، وهي التي يركز عليهـا الاهتمام في التنمية .

لكن المسلمين البدو المحافظين في الشمال يشعرون أن سلطات تشاد تتجاهلهم ... إن الأحزاب السياسية الثلاث والتي يسودها المسلمون تعمل في المنفى ضد حكم تومبال باي ... وفي عام ١٩٦٥ ، وهو العام الذي سحبت فيه الحاميات الفرنسية من الشمال ، أقام الثوار الاسلاميون حكومة في المنفى اسمها (جمهورية تشاد الاسلامية) ومركزها الخرطوم. ثم بعد أشهر من قتال الحدود تحسنت العلاقات ما بين تشاد والسودان في عام ١٩٦٧ (!!) .. أما الجار الشمالي لتشاد وهو ليبيا فإنه لا يعطي أي اهتمام للمسألة ، فليبيا (الكلام عام ١٩٦٨) لا تود إزعاج مجهودات تومبال باي لتطوير دولته (!!) .. ولكن المسلمين الذين تقاتلهم الآن السلطات الفرنسية ، خاصة الفرقة الأجنبية French Foreign Legion لا يؤمنون بهذه الحدود...»[١].

فإذا ما جئنا الى الصومال ، ذات الاغلبية المطلقة من المسلمين ، فإننا سنجد انه لم يكن بالامكان هنا تنفيذ لعبة (الاقلية المسيحية المثقفة الحاكمة للأغلبية المسلمة الفقيرة الجاهلة) كما حدث في معظم الاقطار الافريقية ذات الاكثريات الاسلامية ، وان كان المبشرون قد قاموا بنشاط محموم من أجل إيجاد هذه القاعدة المسيحية في

---

(١) الشهاب : السنة الثانية ، عدد ١٩ (١٥ تشرين الثاني ١٩٦٨) ترجمة وتعليق محمد نذير السنكري .

الصومال ، كي تتولى كراسي الحكم إثر خروج قوات الاستعمار القديم ، وفق الطريقة المعروفة .. كما أنه ليس بالإمكان - كذلك - إثارة تمرد طائفي في منطقة ما من البلاد ، إذ ليس هناك العدد الكافي من المسيحيين . وإذن فإن خير أسلوب لتحطيم قوى المسلمين الصوماليين الحاشدة، والتي تشكل خطراً على الوجود المسيحي في شرق افريقيا، هو تمزيق الشعب الصومالي واقتطاع أراضيه ، وضمها الى الدول المجاورة ذات القيادات الصليبية وبخاصة الحبشة . وامبراطورها الشجاع !! وهذا سيؤدي - بدوره - الى عزل الصومال وإحاطتها بحلقة متينة من الأعداء ، كما سيؤدي الى تضييع طاقاتها وشلها عن العمل والتفكير على المستوى الاسلامي المطلوب، باعتبارها رأس الحربة في قلب افريقيا الشرقية ، وذلك عن طريق إغراقها وتدويخها بمشاكل الحدود التي نجحت تجربتها في عديد من الدول الاسلامية وعلى رأسها باكستان .. وكي يحكم الاستعمار والتبشير حصارهما ضد الصومال ، منعا وصول صوتها الى اخوانها العرب المسلمين كي لا تشكل معهم حلفاً أو اتحاداً يهدد كيان الأعداء هؤلاء ، ونفخوا - في الوقت ذاته - في عقول حكامنا القريبين من المنطقة ألا يلتفتوا الى اليد الصومالية الممتدة اليهم ، عبر الحصار ، تطلب منهم اتحاداً أو مساعدة أو عقد اتفاقيات سياسية أو ثقافية ،

أو – على الاقل – ترجوهم السماح لها بالدخول الى جامعتهم العربية العتيدة !!

« إن قصة تمزيق الصومال المسلم لا تختلف بشيء عن قصة تمزيق وطننا العربي ، فهي ترجع الى مؤتمر برلين الذي تقاسم فيه المؤتمرون الاراضي الصومالية ، بحيث استولت بريطانيا على الجزء الساحلي المشرف على خليج عدن وأسمته محمية الصومال .. واحتلت ايطاليا الجزء الجنوبي الذي عرف فيما بعد بجمهورية الصومال الحديثة .. وأخذت فرنسا ساحل الصومال الفرنسي ، واقتطعت بريطانيا جزءاً آخر هو الذي ألحقته بكينيا لدى نيلها الاستقلال عام ١٩٦٣ والمسمى بـ (انفدي) .. وأخيراً احتلت الحبشة نصيبها المسمى بإقليم (أوغادين) . وقد تم هذا كله في نهاية القرن الماضي ، رغم أن بلاد الصومال كانت تتمتع بوحدة جغرافية وسياسية وتاريخية ، والسكان جميعاً يتكلمون لغة واحدة ويدينون بدين واحد هو الاسلام ، ويتفقون في اللون والتقاليد ... ولقد صاحبت هذه العملية حركة تبشيرية واسعة قوبلت من الشعب الصومالي بإعلان ثورة عارمة حمل راية الجهاد المقدس فيها محمد بن عبد الله حسن استمرت ٢٥ سنة أحرزت خلالها انتصارات رائعة لا زالت مضرب الأمثال... وعندما وضعت الحرب الثانية أوزارها وانتصر الحلفاء على دول المحور ، عقدت بريطانيا مع الحبشة

اتفاقاً نص على اعتبار اقليم اوغادين منفصلاً عن الحبشة وتتولى القوات البريطانية إدارته . وعندما بعثت الدول المنتصرة مندوبيها الى مقديشو العاصمة سنة ١٩٤٨ لمعرفة رغبات الشعب الصومالي ، أجمع الشعب على أن تتولى الدول الاربع الكبرى إدارته تحت إشراف الامم المتحدة لمدة عشر سنوات تنتهي بالاستقلال التام . وبعد هذا عمدت بريطانيا الى مؤامرة شبيهة الى حد كبير بما فعلته في فلسطين، فسحبت قواتها من الاقليم الموضوع تحت وصايتها، ومهدت لدخول القوات الحبشية اليه بعد اتفاقية سرية عقدتها مع حكومة الحبشة عام ١٩٥٤ .. ولقد قررت الحبشة وجوب إخضاع المنطقة الصومالية بالحديد والنار ، وارتكبت في سبيل ذلك أفظع الجرائم ، واستخدمت كل الوسائل الممكنة لمقاومة رغبات الصوماليين في التحرر والانضمام الى الوطن الأم ، فأغلقت مكاتب حفظ القرآن ، واعتبرت تعليم اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون ، وقامت بسلسلة من الاعتقالات والنفي ، ورفضت أي مفاوضة على مبدأ تقرير المصير، أسوة بما فعلته ارتيريا .. الأمر الذي أدى الى اشتعال نار ثورة مسلحة في الاقليم بتاريخ ١٦ تموز ١٩٦٣ بقيادة الزعيم (مختل طاهر) ، وتقرر تأليف حكومة مؤقتة ومجلس أعلى لقيادة الثورة... وتقف الدول الاستعمارية واسرائيل الى جانب الحبشة في

محاولتها إفناء هـــذا الشعب المسلم الثائر . ولقد اشترك الضباط الاسرائيليون في المعارك الـتي دارت بين قوات الثورة والجيش الحبشي حيث تولوا تدريب هـذا الجيش ورسم خططه ... »[1] .

وإذا ما انتهينا من تجوالنا السريع هذا بالحبشة ، فان المجال لن يتسع بمجال من الاحوال لاستعراض وتحليل أبعاد النشاط الصليبي ومؤسساته التبشيرية والسياسية ضد مسلمي المنطقة خاصة وافريقيا عامة ، سيما وأن أبحاثاً ومؤلفات عديدة كتبت عن هذا الموضوع ، فضلاً عـن الدراسات والتقارير والبحوث القيمة التي أصدرتها جبهـــة التحرير الارتيرية بهـذا الصدد .. ذلك أن هيلاسيلاسي ، تلميذ الفاتيكان وعميل الامريكان المخلص، لم يدع بأفعاله وخططه وجرائمه زيادة لمستزيد ، طيلة العقود المتتالية التي حكم فيها هذا الجزء الحيوي من شرقي افريقيا .. أما الوجه الثالث لهيلاسيلاسي : سبط يهوذا ، الوجه اليهودي ، فقد التقينا معه عبر استعراضنا للنشاط الصهيوني في افريقيا ، رغم أن هـذا التفريق – الظاهري – بين وجوه هيلاسيلاسي الثـلاث لا أساس له من الواقع .. إذ تلتقي وتمتزج في شخصيته ونشاطه دماء هـذه الوجوه جميعاً دون فواصل

(١) المجتمع : السنة الرابعة ، عدد ١ (آب ١٩٦٤) .

بينها ولا حدود : تلميذ الفاتيكان ، وعميل الأمريكان ، وسبط يهوذا !!

ونكتفي هنا بأن نشير الى ما يؤكده هيلاسيلاسي نفسه دائماً من (أن الحبشة جزيرة مسيحية في محيط إسلامي) وأنه اتخذ منها – كما يقول الشيخ محمد العبودي أمين عام الجامعة الاسلامية الذي زار الحبشة في ظروف صعبة وكتب مذكراته هناك – منطلقاً لتوجيه النشاط المسيحي الهائل الى داخل الحبشة والى المناطق الافريقية الاخرى القريبة منها ، وخاصة لتنصير الوثنيين الافريقيين. أما بالنسبة للمسلمين فان النشاط التبشيري في الحبشة لم يحرز إلا نجاحاً جزئياً حيث استطاع تغيير دين بعض أطفال المسلمين الذين رباهم في ملاجئه حتى أصبح يوجد بعض العائلات التي بعض أفرادها مسلمون وبعضهم مسيحيون. ونظرة سريعة الى الارقام التالية تبين لنا حجم هذا النشاط المسيحي وإمكانياته العظيمة . فقد جاوز عدد المدارس التبشيرية المائة مدرسة تابعة لكل من الولايات المتحدة وايطاليا واسبانيا والبرتغال والسويد والنرويج وفرنسا وبريطانيا والمانيا . ويبلغ عدد مدارس الكنيسة الحبشية ستة وتسعون مدرسة ، ويزيد عدد المدرسين في المدارس المسيحية كلها في الحبشة عن ثلاثة آلاف مدرس معظمهم من القساوسة والرهبان . وتتدفق المساعدات المالية على

المدارس المسيحية من خارج الحبشة ، كما تملك الكنيسة الحبشية اقطاعيات كبيرة وأملاكاً واسعة في داخل الحبشة. هذا الى أن المدارس الحكومية تعتبر في واقعها مدارس تبشيرية إذ تدرس الديانة المسيحية فيها بشكل واسع[1].

وتعد الكنيسة القبطية ، التي تضمها قبيلة (امهرا) الحاكمة ، المالك الرئيسي لمعظم الاراضي في اثيوبيا ، وهي تدير نظاماً اقطاعياً من مقاسمة المحاصيل Debt Peonqge الأمر الذي يمنع أي تقدم زراعي ... ورغم أن المسلمين يكونون ٦٠ ٪ من مجموع الشعب الاثيوبي فانهم فاقدون لكل الحقوق الانسانية فلا يوجد من بينهم وزير أو حاكم أو سفير أو مدير في كل اثيوبيا . وتبعاً للتقسيمات الادارية لإثيوبيا فانها تضم ١٢ مقاطعة يحكم كلاً منها أمير Duke ولا توجد مقاطعة واحدة يحكمها مسلم ، حتى في المناطق الاسلامية الصافية . وتنقسم كل مقاطعة من هذه المقاطعات الى ٧٤ قسماً ادارياً يحكم كلاً منها حاكم ، ولا يوجد بين ٨٨٨ حاكم لهذه الاقسام مسلم واحد !! والمسلمون – فضلاً عن ذلك – يعانون من أسوأ تميز عنصري في التعليم ، بل من الحرمان الكامل من التعليم تقريباً . فمثلاً من بين ١٤٠,٠٠٠ طالب اثيوبي لا يوجد سوى ٢٠٠٠ طالب مسلم

---

(١) حضارة الاسلام ، السنة التاسعة ، عدد ٥ .

فقط ، أي بنسبة ١٠٠٤ ٪ . أمـــا مقدرات المسلمين الاقتصادية ومزارعهم فانهـا تعاني من الاحتلال التدريجي على الطريقة الصهيونية ، من قبل الامهريين أو الكنيسة القبطية أو منهما معـاً ، الأمر الذي زاد من المساحات الحيازية للكنيسة القبطية حتى وصلت الى ٩٠ ٪ من المساحة الكلية للأراضي الزراعية في اثيوبيـا . ومن الأمثلة على المناطق التي تتعرض لهذا الغزو الشديد : والو Wallo ، هرر Harar ، عروسي Arusi ، جمّا Jimma . هذا وأن معارضة ذلك الاحتـلال يعرّض الساكنين المسلمين لنقمة القوات المسلحة وللمجازر الجماعية كما حدث ويحدث في فلسطين تماماً ، وأكثر من ذلك فان المسلمين يحولون الى نظام خدمة عبودي لم يعرفه التاريخ في أسوأ عصوره ، وهو ما يطلق عليه نظام (Gabbars) . وجميع المسلمين مجبرون على دفع ضريبة خاصة للكنيسة يطلق عليهـا Moral Income في نفس الوقت الذي يبذر فيه الامبراطور العجوز أموال المسلمين والدولة على بناء الكنائس في مقدمة كل مدينة أو قرية اسلامية ليعطي الاجانب تصوراً خاطئاً . ومنذ اللحظة التي استلم فيها هيلاسيلاسي السلطة وهو يستعمل كل وسائل محاكم التفتيش لتنصير المسلمين ، ولذلك أغلق جميع المراكز الاسلامية في هرر ، جمّا ،

داوي Dawe وإيفات Ifat ، بالإضافة الى مناطق أخرى. كما منع تدريس اللغة العربية وضرب الستائر الحديدية على جميع المناطق الاسلامية ، فمنع زيارة العلماء المسلمين ، وقد حاولت بعثة من الأزهر زيارة اثيوبيا في عام ١٩٥١ فأجبرت على مغادرة المطار بعد ساعات من نزولها .

والأنكى من ذلك أن الامبراطور شكل قبل عامين (١٩٦٦) لجنة برئاسته لتفسير القرآن باللغة الأمهرية وتحريفه ، رغم أن المسلمين الاثيوبيين يقرأون العربية وهم امتداد عرقي وثقافي وديني لقبائل السودان .. كما أصدر الامبراطور في عام ١٩٦٠ قانوناً خاصاً سماه Yafita Berkig نفذ في ١٩٦١ وفيه حرم المسلمون من الاحتكام الى محاكمهم الشرعية الخاصة . وليس لدى أحد اعتراض في أن يسمي الدستور هيلاسيلاسي بما يشاء : كحامي الصليب المقدس Defender of the Holy Cross ، وذلك بالنسبة لقبيلة أمهرة ، ولكن ليس للجماهير المسلمة المستباحة للقتل الجماعي والتنصير الاجباري . ولقد ذكر المؤرخ المشهور Thomas Arnold في كتابه « الدعوة الى الاسلام : The Preaching of Islam » أن عدد الذين عمّدوا Baptised عند تأليفه الكتاب ، قد قدر في اثيوبيا بـ ٥٥,٠٠٠ مسلم . هذا وإن إذاعة أديس أبابا قد تحولت الى أقوى إذاعة افريقية ، وبمساعدة تجهيزات المخابرات

الامريكية تقوم ببث رسائل الانجيل كل يوم وطوال النهار الى كل افريقيا وباللغات الانكليزية والفرنسية والعربية والسواحلية ولغة شانينغا Chanyanja ولغة ياروبا Yaruba بالإضافة الى عدد آخر من اللغات الافريقية، دون السماح بدقيقة واحدة لإذاعة القرآن الكريم [١].

أما الجيش !! فأحرى أن توصد أبوابه أمام المسلمين.. ويقول الحاج ابراهيم احمد الهرري، عضو المكتب التنفيذي لجبهة التحرير الصومالية ان انتساب المسلمين الى الجيش الاثيوبي كان محرماً عليهم الى وقت قريب حيث اصبح يقبل منهم بنسبة ١٪ وبشروط صعبة مع وضع العراقيل في وجههم كي لا يصلوا الى مناصب عالية. وهذا لم يتم على كل حال إلا بعد ثورات وصيحات واحتجاجات كثيرة.. وأما التجارة .. فقد كان معظمها بيد المسلمين فأصدرت السلطات الحبشية قانوناً غريباً يحظر على المسلمين الاستيراد والتصدير إلا عن طريق مسيحي حبشي. وبذلك – يقول الهرري – وجهت السلطات الحبشية الكهنوتية ضربة جديدة شنيعة للمواطنين المسلمين !! [٢].

---

(١) الشهاب : السنة الثانية، عدد ١٤ (اضواء على الصحافة العالمية)، انيس الدين احمد: مأساة المسلمين في اثيوبيا، صحيفة باكستان الشابة، العدد الثالث (تشرين الثاني ١٩٦٦).

(٢) حضارة الاسلام، السنة الخامسة، عدد ١ (تموز ١٩٦٤).

الخاتمة

تلك هي – باختصار – ملامح مأساتنا في افريقيا ..
إن تلك القوى الثلاث تتقدم الى القارة السوداء من كل مكان .. من الشمال والجنوب ، من الشرق والغرب .. تأتي اليها بالسفن والطائرات والقطارات السريعة .. وتتسلل اليهـا مع كل قطعة غيار ، أو أداة مصنع ، أو مدرسة ابتدائية أو جامعة.. وتنفخ في عقول أبنائها وقلوبهم بكل نشرة أو كتاب أو مساعدة اقتصادية أو بعثة متبادلة أو نشرة اخبارية .. والخطر يزداد يوماً بعد يوم، لأن هنالك تعايشاً وتعاوناً متبادلاً بين هذه القوى الثلاث ، رغم ما بين بعضها من عداء ديني وتقليدي ، ولكن هـذا العداء يزول بين ساعة وأخرى لأن أخطر قضية عرفت بين اليهودية والمسيحية حلت بقرار من الفاتيكان حول مصير المسيح عليه السلام .. ربما لأن الماسونية ، هذا الاخطبوط العالمي، هو الذي يقرب بين هذه القوى الثلاث، ويسيرها كما يشاء ، ويوحي اليها بأن تنسق أعمالها وأن تكف عن الصراع .

والمسلمون في أعماق افريقيـــا تحيط بهم الأخطار ، ويضيق الخناق على أعناقهم يوماً بعـد يوم ، وساعة بعد ساعة .. إن جدراناً هائلة تقام كل يوم لتعزلهم عز اخوانهم في كل مكان .. إنهم غدوا الآن معزولين أكثر من أي وقت مضى ، لأن الصراع – غير المتكافىء – بين الاسلام والقوى المضادة بلغ حده الاقصى .. إن المسلمين يجردون من سلاحهم ، ومن وسائل معاشهم ، يحرم عليهم التعلم ، ويفتك بأعراضهم، ويداس شرفهم بالأقدام، وتسلط عليهم ألوان التعذيب والتخويف والقتل والإفناء .. وماذا يبقى المسلم عندما يجرد من سلاحه ، ويغدو جائعـاً جاهلاً ، مسلوب العرض ، مسحوق الشرف ، معرضاً في كل لحظة للذبح ؟! لا يبقى أمامه إلا أن يرتد عن دينه لكي يعيش ويتعلم ويحفظ عرضه ويصون شرفه .. بل لا يبقى أمامه – إن أراد الحياة بأية صورة من صورها – إلا أن يتنازل عن بيعته لله ورسوله ، ويضع يـده المهزولة المرتجفة في احدى الأيادي القوية الثلاث التي امتدت إليه من كل مكان تدعوه : ان هلم الينا !!

ورغم ذلك كله ، فان هناك عزاء يتنزل على العقول والقلوب، أملاً من الأمل ويقيناً من اليقين .. عزاء ينبثق عن الاسلام نفسه ، ذلك الدين السمح الواضح العـــادل المتماسك القيم ... عـن قدرته الفذة العجيبة على التقدم

والانتشار رغم أشد الصعوبات وأقسى العقبات .. عن قوته الذاتية في الاقناع وإزالة الجدران، التي يحيط بها أعداؤه، الشعوب البسيطة في كل مكان .. إنه يمحو – بقدرة قادر – هـذه السدود ، وينطلق ، خفيفاً واضحاً مستقيماً ، الى عقول الناس وأفئدتهم في كل مكان، فيملؤها بالنور واليقين، ويعلمها كيف تعيش متوحدة، نظيفة ، منطقية مع ذاتها، ومع الآخرين، ومع العالم الذي تعيش فيه، والكون الذي ترسم مصيرها على صفحات كتابه الكبير.. ويعطيها الأرضية الصالحة التي تتحرك فوقها في أجواء يسودها العدل والاخاء الحق والتعاون والفهم المشترك .

إن الاسلام، هذا الخلاص الإلهي الأخير لأحزان البشرية وآلامها وتعقيداتها ، ظل وسيظل الى أن يشاء الله ، يحمل في بنيته المعجزة القدرة على خطاب الآخرين، والنفاذ بيسر وسهولة الى وجدانهم وأفكارهم.. ولقد علمنا التاريخ، فضلاً عن هذا وذاك ، خصيصة أخرى من خصائص هذا الدين الذي يحرسه الله ويدفع عنه ، تلك هي انه ما أن كان يتعرض ، في ساحة من ساحات الارض ، لمحنة قاسية .. لهجوم عنيف من أعدائه .. لحصـــار صعب استخدمت فيه أشد الاسلحة المادية والأدبية مضاء وقسوة.. ما أن كان يتوقف عن الحركة والفاعلية في مكان ما من مكانات الارض ، بمـــا يكيد له اعداؤه من كيد ..

حتى كان يسرع في التعويض عن توقفه هناك ، بالتحرك السريع المذهل في أماكن أخرى، والاندفاع السهل العجيب لتغطية مساحات أوسع وأبعد من تلك التي أراد أعداؤه ألا تطؤها قدماه ..

وفي الوقت الذي كان فيه الاسلام يهاَجم ويحاَصر في مناطق واسعة من آسيا وسواحل البحر المتوسط، وراحت الدولة العثمانية تتحول من مواقف الهجوم الى الدفاع ، وتنسحب عن أراض واسعة من أوربا وآسيا ، تاركة إياها لجحافل المستعمرين والصليبيين الذين لم يوقفوا حركة الاسلام في تلك المناطق فحسب، بل راحوا يقومون بهجوم مضاد لفتنة المسلمين عن دينهم وإضعاف قدرتهم على الصمود ... في ذلك الوقت كانت افريقيا الوثنية تستقبل يوماً بعد يوم حشود الدعاة الى الاسلام ، معلمين ومشايخ وتجاراً ، وتفتح لهم عقلها وقلبها ووجدانها ... وسرعان ما راح الاسلام ينتشر هنا وهناك بسرعة مذهلة ، لكي يغطي ، في فترة قصيرة من الزمن، مساحات واسعة من افريقيا : شرقاً وغرباً وجنوباً ..

كاد نشاط هؤلاء الدعاة يقوم في الغالب على الارشاد، ويعتمد على انتشار التعاليم الاسلامية ، ويقوم على حب الجار والتسامح مع المخالفين، واستخدام كل وسائل الترغيب في نشر الدعوة الى الاسلام رغبة في نشر الدين ابتغاء

مرضاة الله وحسن الثواب في الآخرة وهداية النـاس ، وذلك بتأسيس المساجد وفتح المدارس ، والمصاهرة مـع أهالي البلاد التي يتردد عليها المسلمون ، أو يستوطنونها ، أو بشراء العبيد لتعليمهم مبادىء الدين الحنيف، ثم إعتاقهم لوجه الله وإعادتهم الى أوطانهم ليدخلوا اخوانهم في الدين. أضف الى ذلك مبدأ الحرية والاخـاء والعدالة والمساواة العنصرية [١] . وقد حاول دعاة المسلمين هؤلاء أن يشقوا طريقهم الى بـلاد الحبشة وأن ينتشروا على حدودها الشرقية ، بالإضافة الى ما كان يفد الى هـذه البلاد من التجار . وكان هؤلاء الدعاة والتجـار يفدون الى شرقي افريقيا عن طريق اليمن وحضرموت والبحرين ... وأخذ الاسلام يشق طريقه معهم الى بـلاد الحبشة والصومال ، ليس عن طريق الفتح والغزو، بل عن طريق التجارة [٢].

وكذلك شق الاسلام طريقه الى اوغندا في النصف الاول من القرن التاسع عشر، كما شق طريقه من الساحل الشرقي الى (نياسالاند) على أيدي العرب وخلفائهم المسلمين في افريقيا. فانتشر بسرعة غريبة في أوائل القرن العشرين.

---

(١) حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص ٤٢.
سير توماس ارنولد: الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن ورفاقه ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام ، ص ٣٥ .

وعلى أيدي العرب أيضاً انتشر الاسلام بين السواحلية أهالي زنجبار ، وفي جزيرة مدغشقر حيث تحولت قبيلة (انتيمورنا) التي تحتل جزءاً كبيراً من الساحل الشرقي . بل لقد نفذ الى كينيا وتنجانيقيا والى أقصى جنوب القارة الافريقية [١] . كما دخل عن طريق بعض المهاجرين من سكان شبه القارة الهندية الى جنوبي افريقيا والكونغو . أما في غرب القارة فقد سلك الاسلام في انتشاره طريقين رئيسيين ، أحدهما الطريق الساحلي عبر حوض السنغال ، وهو الطريق الذي سلكه المرابطون وعدد من الحركات الصوفية التي أعقبتهم . والآخر طريق التجارة الذي يبدأ من افريقيا الشمالية متجهاً صوب الجنوب ، عبر واحات الصحراء الى المدن الكبرى في السودان الافريقي [٢] .

ويرجع السبب في تحول كثير من أهالي هذه البلاد الى الاسلام ، الى أن الداعي المسلم كان ، منذ اللحظة الاولى التي يعترف فيها المتحول الى الاسلام بالعقيدة ، يسير على المبادىء القائمة على الاخاء والمساواة ومحاربة الطبقية ، وهي مبادىء يشترك فيها الاسلام مع المسيحية ، غير أن الداعي المسلم أسرع في القيام بهذا العمل من المبشر المسيحي

---

(١) ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٨١–٣٨٧ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام ، ص ١١–١٢ .

الذي يعد مضطراً الى المطالبة بدليل قوي على اخلاص المتنصّر قبل أن يصافحه مصافحة المسيحي الابيض سيداً والوثني الأسود عبداً . ومن المهم أيضاً أن نلاحظ أن لون الزنجي وجنسه لم يحملا بأية حال اخوانه في الاسلام على أن يتعصبوا عليه . وقد تقدم نجاح الاسلام في افريقيا الزنجية تقدماً جوهرياً بسبب عدم وجود كل احساس باحتقار الاسود الذي لم يعامل قط على أنه من طبقة منحطة كما هو الحال في كثير من الأحيان في العالم المسيحي. وبينما نجد المبشرين المسيحيين لا يتزوجون من الزنجيات حتى لا يثيروا أبناء جنسهم عليهم ، نجد الدعاة المسلمين ينفذون الى قلب افريقيا ، ويحولون الوثنيين بسهولة الى الاسلام ويتزوجون من الزنجيات ، ويسيرون مع أهالي هذه البلاد على المبادىء القائمة على الاخاء والمساواة . لهذا لا نعجب اذا نظر الزنوج الى الاسلام على أنه دين السود، والى المسيحية على أنها دين البيض ، ويرون أن المسيحية تدعو الزنجي الى الخلاص ولكنها تضعه في مكان منحط بحيث أصبح يعتقد بأنه ليس له نصيب في هذا الدين . أما الاسلام فانه يدعو الناس الى الخلاص ليكفل لهم الوصول الى أسمى الدرجات [1] .

---

(١) ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٩٩ .

والداعي المسلم يستطيع ان يمد القبائل الزنجية غير المتحضرة بكثير من الحقائق المتعلقة بالله وبالإنسان تصل الى القلب، بل يستطيع الى جانب ذلك أن يمنحهم ترخيصاً بالدخول في وحدة اجتماعية سياسية تخولهم حق الحماية والمساعدة في البلاد الاسلامية التي تمتد من المحيط الاطلسي غرباً الى سور الصين شرقاً . وحينما يستطيع المسلم أن يجد هناك داراً اسلامية يجد الافريقي ، الذي تحول الى الاسلام ، يردد أركان عقيدته ، واثقاً من المأوى والقوت والنصيحة [١] . ويتبين مدى ما يشعر به المسلم الافريقي في المجتمع الاسلامي وتعلقه بدينه واطمئنانه اليه، من هذه العبارة التي ذكرها (موريل) في كتابه (نيجيريا : أهلها ومشاكلها) « ... انه ليخيل اليك انه يقول : ان كلا منا يختلف عن الآخر ، ولكننا جميعاً بشر . وان انتشار الاسلام الذي نشهده اليوم في نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيراً اجتماعياً . ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتحولون اليه منزلة أرقى وفكرة أسمى عن مكانة الانسان من العالم المحيط ، ويحرره من ربق ألف من الأوهام الخرافية »[٢].

---

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام ، ص ٦٢ . وانظر نفس المصدر ، ص ٣٣-٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧-٧٨ .

ونستمر في استعراضنا الموجز السريع للاسباب الـتي يسرت سبل انتشار الاسلام في افريقيـا ، والنتائج التي ترتبت على ذلك ، فنرى الـكاتب B. Smith يؤكـد في كتابه The 9 rn Century (ص ٨٩٨—٨٠٠) : « ان أقبح الرذائل ، وهي أكل لحوم البشر ، وتقديم الانسان قربانا ووأد الأطفال أحياء، تلك الرذائل قد اختفت فجأة والى الأبد . والأهالي الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة أو أشباه عراة ، بدأوا يرتدون الملابس ، بل أخـــذوا يتأنقون في ملابسهم . والأهالي الذين لم يغتسلوا من قبل قط بدأوا يغتسلون ، بل انهم يكثرون من الاغتسال لأن الشريعة الاسلامية تأمر بالطهارة.. ويميل النظام القبلي الى فسح المجـــال لأساس أوسع نطاقاً ، وبعبارة أخرى الى اندماج القبائل بعضها في بعض وتصير أمماً ، وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الأمم امبراطوريات .. ومتى أثير الروح الحربي على هذا النحو تكون الحرب أحسن تنظيماً. وهم لا يثيرون القتال دون سبب من الأسباب . وقد قل السلب كما زاد تأمين الناس على أملاكهم وأرواحهم . وقد أنشئت مدارس أولية ، لو اقتصرت على تـلاوة القرآن لكانت ذات قيمة في نفسها ، وقد تكون خطوة في سبيل ما هو أعظم منها بكثير . كما أصبح المسجد الجيد البناء، النظيف ، بما فيه من أذان للصلاة خمس مرات في اليوم ،

وقبلة تتجه الى مكة ، وإمام ، وصلاة جمعة ، مركزاً للقرية بـدلاً من دار عبادة الأوثان ذات المنظر البشع . وقد قهرت عبادة الله الواحد القهار، الكائن في كل مكان، العليم الرحيم ، كل ما لقن الأهالي عبادته من قبل ، قهراً لا حد له . وظهرت صناعات وتجارة، لا كالتجارة الصامتة التي تقوم الاشارات فيها مقام اللغة في التفاهم، ولا كالمبادلة البدائية في الخامات ، ولا كالمقايضة بالودع أو البارود أو الخمر... ولكنها صناعة تنطوي على مهارة فائقة ، وتجارة منظمة نظاماً محكماً . وظهرت المـدن الكبيرة في أرض الزنوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة ، وتأثير الحكومات الأكثر استقراراً التي جاء بها الاسلام ... أما فيما يتعلق بالفرد ، فمن المسلم بـه من كل الوجوه ، أن الاسلام يمد السود ، الذين تحولوا اليه ، بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جداً أن نجدها في مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين »[1] .

وكتب ت. هـ. ب. سايلر T. H. P. Sailer عميد الدراسات التبشيرية في الولايات المتحدة ، في كتاب « المسلم يواجه المستقبل: The Moslem Faces the Future » والذي طبع منذ عام ١٩٢٦ ، وتحت فقرة (لماذا يجذب

---

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام ، ص ٧٩ — ٨٠ .

الاسلام الزنوج ؟) : « والوضع الثالث الذي أثار الاهتمام الكبير هو انتشار الاسلام في السودان وغرب افريقيا . لقد كتب الكثير عما يسمى بالجاذبية الطبيعية من قبل الافريقيين نحو الاسلام . ولقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوباً وحتمياً لأن الاسلام يلائم الزنوج جداً ، وهو يحسن من أوضاعهم ، ولا أمل للمسيحية في منافسة الاسلام . أما الآخرون فقد اعتبروا التحول الى الاسلام سوء حظ كبير للرجل الاسود ، لأن الاسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية . ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود ، وعلى نطاق كبير ، لوقف المد الاسلامي » .

ثم يستطرد الكاتب المذكور : « ... ومن المهم جداً أن نعتبر بعض الحقائق .. لماذا انتشر الاسلام في افريقيا بشكل كبير وأكثر بكثير من المسيحية ؟ أولاً : لأن الاتصال الاسلامي كان أكثر . ثانياً : التجار والمعلمون المسلمون كانوا يبدون للزنوج متفوقين وأنهم ليسوا بعداء (لذلك كان الاستعمار الانكليزي يحارب دخول التجار المسلمين الى جنوب السودان) . ثالثاً : العامل الأكثر أهمية في الموضوع هو أن رسالة الاسلام ايجابية Positive ومحددة Definite وسهلة الفهم Easily under Stood وليست مغالية جداً في تطلباتها . الاسلام يعطي رؤيا محددة تجلب الشعور بالراحة لشيء قد أنجز إتمامه ،

كما تمنحه المساعدة على الانجاز . إن المتحول الى الاسلام يصلي بجانب أستاذه ، كما أنه بمجرد تكوين مجتمع اسلامي ، فان صلاة المسجد والواجبات الدينية الأخرى تعطيه الشعور بالوحدة الاجتماعية .. إن الأخوة في الاسلام ليست دينية فقط ، وإنما اجتماعية أيضاً . المسلم لا يرسم خطاً لونياً بين الأبيض والأسود المسلم يأكل ويتزوج من ذوي الجلود السوداء » . وفي النهاية يصل (سايلر) الى وجوب عمل الكنيسة المسيحية بسرعة أكبر وعلى مجال أوسع . ثم يضع الخطوط العامة لاستعمار العالم الاسلامي بواسطة الطرق المختلفة ، بما فيها التعليم ، وإفساد المرأة المسلمة ، والتطبيب البشري ، والاحتلال العسكري . ويضع الأبعاد المثلى للاستعمار في إنقاذ المسلم شخصيته .. إن الاستعمار بعد سلب السلطة من المسلمين أوقد خلافات دموية ما بين المسلمين الزنوج والزنوج غير المسلمين، كما هي الحال في جنوب السودان ، تشاد ، نيجيريا [1] .

ولن ننسى هنا — ونحن نستعرض التأثيرات الحضارية للإسلام في افريقيا — الدور الكبير الذي يلعبه هذا الدين في القضاء على النزعات القبلية التي مزقت القوى والطاقات

---

(١) الشهاب : السنة الثانية ، عدد ١٩ (ترجمة وتعليق محمد نذير السنكري) .

الافريقية ردحاً طويلاً من الزمن ، والتي أتاحت للتبشير والاستعمار أن يشقا طريقهما في القارة السوداء ، وبينما تموت القبلية تحت ظلال الاسلام ، نجد المبشرين يحاولون صنع قبلية دينية ، وهو ما يطلق عليه : The Tribalization of Christianity رغم منافاة ذلك لحضارة الرجل الغربي نفسه .. وبالإضافة الى ذلك فالقبلية مرتبطة أساساً بالوثنية (التي يحرمها الاسلام) . وكما ذكر Bryan نقلاً عن كتابات Baganda الافريقي (١٩٤٥) – ص ٢١ – (ان القبلية ما زالت القوة الماسكة في افريقيا والتي تزاحم أو تحارب فقط) . ويجد Edwin Smith الكاتب التبشيري الكثير النشاط كل الفائدة في القبلية ، كما يقوم الكتاب الاستعماريون بالدور نفسه . فمثلاً كتبت احدى الصحافيات الامريكيات مقالة مطولة في مجلة « نيويورك تايمز » (١٩٥٩) تحت عنوان (طبول التغير تقرع لقبائل افريقيا) ، ثم لخصتها قائلة : (إنه سيكون من المأساة لافريقيا لو أن القبلية ضعفت فيها وتركت الجماهير دون شعور بالوحدة والطمأنينة والانضامية الى مجموعة) !! » [١] .

---

(١) الشهاب : السنة الثانية ، عدد ٢٤ (ترجمة وتعليق محمد نذير السنكري) .

وذكر Meek في كتابه Nothern Tribes of Nigeria (الجزء الاول ، ص ٤ – ٥) : « إن الاسلام جاء بحضارة جديدة أتاحت للشعوب الزنجية طابعاً حضارياً متميزاً لا زال واضحاً حتى اليوم ، مؤثراً في نظمهم السياسية والاجتماعية . ذلك ان الاسلام حمل الحضارة الى القبائل المتبربرة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوباً ، وجعل تجارتها مع العالم الخارجي ميسورة ... فقد وسّع من الأفق ، ورفع من مستوى الحياة بخلق مستوى اجتماعي أرقى ، وخلع على أتباعه الكرامة والعزة واحترام الذات واحترام الآخرين .. لقد أدخل الاسلام فن القراءة والكتابة ، وحرم الخمر وأكل لحوم البشر والأخذ بالثأر ، وغير ذلك من العادات الوحشية، وأتاح للزنجي السوداني الفرصة لأن يصبح مواطناً حراً في عالم حر »[1] .

ويلخص (جورج كاربنتر) في كتابه « افريقيا اليوم » (ص ٩٨ – ٩٩) الأسباب التي ساعدت على انتشار الاسلام في افريقيا والنتائج الثقافية التي ترتبت على ذلك فيقول : « يجب ألا نغفل ما للإسلام من أثر بعيد في النواحي الثقافية . أولاً : ان الاسلام يقوي الشعور بالوحدة ،

---

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام ، ص ٥٩ .

ويؤلف بين قلوب أفراد المجتمع ، ولا يقيم وزناً لحواجز اللون أو الجنس، بل يمنح الجميع أخوة اسلامية مشتركة . فهو من هـذه الناحية أقوى من المسيحية وأبعد أثراً .

ثانياً : إنه يقوي الشعور بوجود الله وبوحدانيته وبقوته، وبتبعية الفرد لهذا الإله وإحكام صلته به عن طريق صلوات يقوم بها كل يوم . بعكس ما نراه في المسيحية ، فهي تجعل هذه الصلاة يشوبها بعض الغموض .

ثالثاً : من مظاهر قوة الاسلام أنـه يحث على الصبر وضبط النفس والشعور بالعزة والكرامة .

رابعاً : ان الاسلام جعل اللغة العربية ، لغة القرآن ، لغة عالمية للتفاهم في جميع أجزاء العالم الاسلامي، فهو إذاً يضفي على المجتمع وحدة ثقافية وإجتماعية »[١] .

ومن (كامبالا) عاصمة (اوغندا) بعث الدكتور (كيمولي سامولا) ، مدير معهد سيدنا أبي بكر ، برسالة مؤرخة في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٦٤ ، جاء فيها: « ... إن اهتداء الأمير (هنري كيميرا) ، شقيق الملك (موتيسا) الثاني رئيس اوغندا ، الى الاسلام – ذلك العام –

---

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام ، ص ٥٢ – ٥٣ .

قد كشف الحقيقة بأن الاسلام ليس دين إكراه ، ولكنه يعتنق بحرية إرادة . فقد نشأ الأمير هنري – الذي تسمى بعد إسلامه برشيد – في قصر أبيه ، وربّي في مدارس نصرانية لا يذكر فيها الاسلام إلا بعد صبغه بأبشع صورة. ثم قضى فترة في انكلترا لاستكمال دراسته ، وعاد بصحبة زوجة نصرانية .. وقد استرسل الأمير بعقله البحاث في مساءلة نفسه : لماذا لا ينتهي قسيس من المراسيم الدينية في كنيسة إلا بتهجمات على الاسلام ؟ ومن المؤسف حقاً ألا يوجد حتى الآن في سائر البلاد، مركز إسلامي للدعوة من شأنه تزويد مثل هـذا الرجل بالكتب الاسلامية . وبفضل الله وحده التقى بفتـاة مسلمة أراد أن يتزوجها فوجد عندهـا أجوبة شافية على أسئلته . واخيراً أعلن الامير قراره على الملأ ، وكان أول رأي أبداه هو : ان السلام والحرية والمساواة لا توجـد إلا في التعاليم الاسلامية . وفي اليوم الذي احتفلت فيـه البلاد بإسلام الامير اعتنق أكثر من مائة مسيحي آخر الاسلام ، وأعلنوا عن اتباعهم قافلة النبي العظيم ﷺ »[١] .

---

(١) المسلمون : المجلد التاسع ، عدد ٣ .

وكتب الشهيد أحمدو بللو ، قبيل استشهاده ، معللا سرعة تقبل الوثنيين الافارقة للاسلام فقال : « أعتقد أن ثمة قيماً ذاتية في أسلوب الحياة الاسلامية يعتبرها الوثنيون – وذلك في أغلب الظن – أسمى وأجـدر بالقبول من غيرها ، كالنصرانية مثلاً . هذه القيم هي انعدام التمييز العنصري والطبقي ، وكرم المسلم الذي تضرب به الامثال لكل من هو في حاجة الى عون .. وخصائله في الصحبة والرعاية والاحترام ، وإخلاصه الذي يؤدي بـه فرائض دينه . وأخيراً ، وليس آخراً ، فشل الاشياء المادية في التأثير على حكم المسلم الصادق وأعماله .. إن الوثني ينتقل في لحظة إهتدائه الى الاسلام الى أحضان الجماعة الاسلامية، عضواً كامل العضوية والحقوق . وليس ثم حاجز من أي نوع يمنعه من أن يرتقي – بحق – سلم مجتمعه الجديد » [١] .

ويمكن أن نضيف الى ما سبق عوامل أخرى تعطي للاسلام في افريقيا موقعاً أكثر قوة وتمكناً وامتيازاً من الموقع الذي يحتله النشاط التبشيري المسيحي هنـــاك .

---

(١) المجتمع : السنة الخامسة ، عدد ١٣ ، آذار ١٩٦٦ .

بتجارة الارقاء . وكان الرق قد وجد تشجيعاً وانتشاراً على ايدي المستعمرين القادمين من الدول الاوربية ، حيث قاموا بتسيير وقيادة تجارة الأرقاء في افريقيا على نطاق واسع لأنهـا كانت تشكل مصدراً واسعاً للربح والدخل الحكومي . ثم إن مظالم الحكم الاستعماري والقمع والضغط السياسي والاقتصادي ساهمت جميعها في عدم رضـا الافريقيين عن التبشير وعدم انخداعهم به .

ثانياً : ليس من السهل على الافريقيين استيعاب تعقيدات الدين المسيحي وتمثلها ، كما أن التحول اليها يبعد عنهم الاستقرار والسكينة . أما الاسلام فانه يعطيهم شعوراً بالعزة والثقة بالنفس، وهو ما لم يقدمه التبشير لهم . والافريقيون – لدى دخولهم الـدين الاسلامي لأول مرة – يشعرون أنهم كائنات حية لها شعورها وعواطفها وعقولها وشخصياتها المستقلة ، وتنفتح لهم كافة المجالات للتعبير عن الذات ، كما أن كافة الفرص لتطوير شخصياتهم الى المـدى الاقصى تصبح متوفرة لهم . إن الافريقي – اليوم – يبحث عن دين يكون عملياً وحركياً وطبيعياً وقادراً على الانسجام مع أمور الناس وشؤونهم الدينية والدنيوية . والافريقي – كما يقولون – هو (الابن البسيط الساذج للطبيعة)

ولذلك فان تكوينه العقلي لا يستجيب إلا للنظام الإلهي غير المعقد والصريح والمباشر [١] ، فإذا مـــا فصل عن

---

(١) هــــذا لا يعني بالطبع ان الاسلام ادنى ، في مستواه العقلي ، من المبـــادىء الاخرى ذات الطابـع الفلسفي المعقد ، والتحليل النظري العميق . كما لا يعني ان الشرقيين عموماً اقل قدرة على التفكير في المسائل المعقدة من الغربيين ، كما اعتقد عدد من كتاب الغرب كـ (رينان) على سبيل المثـــال . والذي يذهب هذا المذهب في نظرته للاسلام ومعتنقيه ليس إلا ساذجاً جاهلاً ، او طائفياً متعصباً . لأن هناك فرقاً واضحاً بين إعجاز الاسلام في مواجهته للنفس البشرية ، بوضوح ويسر وانسجام عجيب مع متطلبات هذه النفس في شتى مستوياتها الثقافية والحضارية ، وبين قدرة الاسلام ومعتنقيه على التفكير والابتكار والبناء في اشد المسائل الفكرية تعقيداً والتواء . وليس بعـــد العبارات الفكرية: فقهية وكلامية وفلسفية ومنطقية ولغوية... الى آخره، تلك التي شهدتها حضارة الاسلام في عصورها المشرقة ، وليس بعد تأكيد القرآن في اكثر من الف موضع على ضرورة التفكر والتدبر والتفقه في خلق السماوات والأرض .. ليس بعد هذا وذاك مجال لاصدار حكم ساذج ، او متعصب ، كهذا الذي يدور في بعض الاذهان . كما ان المسيحية ، وغيرها من الاديان ، من جهـــة اخرى ، لا تعني في تعقيداتها والتواءاتها – التي اضيفت الى جوهرها فيما بعد – أنها تمتلك ميزة فكرية راقية ، او قدرة على مجـــابهة المسائل العقائدية بعمق واتســـاع نظر . ←

عقيدته الوثنية فانه لا يجد أية صعوبة في إعلان طاعته لقوة الإله الواحد الذي خلق العـــالم ويدبر أمره على الدوام . والاسلام ، لكونه حراً وغير مقيد بالأساطير المعقدة والأسرار المحيرة ، يقف وحده كمنارة تشع الآمال للملايين من سكان افريقيا ، وهو يدعوهم للخروج من بحار الشكوك العاصفة ، والفوضى ، والحيرة ، الى دين السلام الروحي والطمأنينة .

ثالثــاً : إن الاخوة تحت ظلال التبشير ليست إلا أكذوبة ، فالحاجز الناتج عــن اللون والعرق هو جزء أساسي من الحيــاة الغربية والنمط الغربي للحيــاة . كما أن التمييز العنصري في التعليم والتوظيف وأماكن العبـــادة والطعام والمواصلات ، أمر لا يمكن

← إذ ليست هـــذه التعقيدات والالتواءات سوى مجموعة من الاساطير الساذجة ، والرموز الوثنية البعيدة عن جوهر الاديان ، والمناقشات الكلامية الخاوية التي ادارها القسس عبر العصور ، دون أن يبتغوا من ورائها وجه الله والحقيقة المجردة . ولا يمكن لمفكر جاد ان يقول بأن مواضعات المسيحية الوثنية هذه ، بمـــا فيها من رموز وأساطير لا تنبثق عن نظرة موحدة متماسكة ، يمكن ان تصمد أمام حجج الفكر العميق وبراهينه وأدلته التي طالب القرآن الكريم أتباعه ان يلتزموها في مجابهة المبادىء والاديان ، كيلا يقعوا في مظنة اعتناق الظنون ، والأوهام ، وما تهوى الأنفس !!

إنكاره . وقد أدى ذلك الى خلق حقد مرير واستياء شديد في عقول الافريقيين، وأخذ كثيرون منهم يتساءلون عن الجدوى العملية للنصرانية . فلا شيء – إذن – يمكن أن يكون أفضل وأغلى من أخوة الاسلام العالمية بالنسبة للافريقيين الذين استُعبدوا لفترة طويلة ، وعوملوا معاملة لا تليق بالبهائم والوحوش على أيدي الاوربيين المستعمرين .

رابعاً : لقد أخذ الافريقيون يتحققون أن الاوربيين والامريكيين هم الوثنيون الحقيقيون . ولو كانت البعثات التبشيرية مخلصة في العمل لأجل النصرانية لوجدت عملاً لنفسها فيه فائدة لافريقيا . وقد اكتشف الافريقيون أن البعثات التبشيرية تهتم بحماية المصالح الرأسمالية للدول الغربية ، ونشر الطرق الغربية للحياة ، أكثر من اهتمامها بالقيم الروحية الأصيلة . ولقد صدق أحد الحاكمين حين قال : « إن المبشرين هم دوماً طلائع الاستعمار الغربي » .

خامساً : إن المستوى المتدني الحالي للأخلاق ، الذي يقدمه الغرب وينشره في افريقيا ، ليس إلا نتيجة طبيعية للتبشير . وبما أن الافريقيين يحاولون الآن أن يرتفعوا فوق ماضيهم ، فان كل شيء يدعو اليه البيض يجب أن يزول . وقد تنبأ المبشر (بيلي جراهام) ، بعد عودته من سياحة في قارة افريقيا ، زوال النصرانية من هناك .

سادساً : وهنالك في افريقيا اضطراب في العالم الروحي والسياسي ، كما أن هنـــاك تمزقاً في الروح وخاصة بين الشباب . والتهيج الروحي السريع يزعج افريقيا . وأن النصرانية ، التي يضاف اليهـــا الاستعمار ، والتي تتميز بالعقيدة المعقدة ، تعاني الآن اضطراباً خطيراً . ومقابل ذلك نجد أن الاسلام يتقدم في افريقيا، بصمت وسكون، بسرعة تساوي ثلاثة أمثـــال سرعة تقدم النصرانية . والافريقيون يتقبلون هذا الدين من المسلمين الذين ليست لهم أية مصلحة مادية في افريقيا أكثر من تقبل المسيحية من الاوربيين المستعمرين الـذين أعطوهم الانجيل وسلبوا منهم أراضيهم في نفس الوقت [١] .

تلك هي مواقع المسيحية والاسلام في افريقيا ، والتي أتاحت لدين التوحيد والسماحة والأخوة والوضوح والعدالة واليسر ، أن يتغلب ببساطة على منافسيه وأعدائـه ، رغم تفوق أساليبهم وضخامة إمكاناتهم المادية والدولية .

---

(١) معوقات انتشار الاسلام في افريقيا (قسم الترجمة)، حضارة الاسلام، السنة الثامنة ، عدد ٦ ، ٩ .

إلا أن تلك الغلبة المنبثقة – كما ذكرنا – عن قوة الاسلام الذاتية ، وإخلاص دعاته وتجردهم ، كانت أمراً واقعاً حتى الامس القريب .. أما الآن فيجب ألا ننسى أن أعداء الامس غير أعداء اليوم، هؤلاء الذين يتحركون بسرعة على كل الجبهات ، بما يسرته لهم التكنولوجيا المعاصرة من قدرة على الحركة السريعة ، وإمكانية في ضم الكرة الأرضية كلها ووضعها تحت أنظار الأقوى ووصايته ومبادئه .. ومن ثم فهم مستعدون في كل لحظة لمعرفة البثق الذي يتسرب منه الاسلام الى مناطق جديدة ، والفتح الذي يتهيأ لحركته في مكان من الاماكن ، لكي يضعوا بسرعة سداً في ذلك البثق ، ولكي يحاصروا الحركة الاسلامية هناك ، ويوقفوها عن التقدم ، وينزلوا بها – بعدئذ – ضرباتهم الماحقة .. يساعدهم على هذا كله مخططات عقائدية وسياسية في غاية المكر والدهاء والتعقيد ، لم تكن معروفة من قبل ، يسهم في وضعها وإخراجها روّاد الحركات المعادية من ماسونية صهيونية ، وصليبية واستعمار .

هذا ولا شك ، يضع على عاتق المسلمين المعاصرين ، شعوباً وقادة وتنظيمات ودولاً وحكومات ، مسؤولية

أكبر بكثير من تلك التي كانوا مكلفين بها في ذلك العالم المتباعد ، السهل ، البطيء ... وأن يكونوا مفتحي الأعين دوماً ، للتحركات التي يقوم بها أعداء الاسلام ، والمخططات الرهيبة التي يبنون عليها تحركاتهم المعقدة تلك .

صحيح أن الاسلام سيظل يحتفظ بقدرته الفذة على تغطية مساحات أوسع، والنفاذ الى قلوب أكبر عدداً... إلا أنه قد ذهب ذلك اليوم الذي كانت تتاح فيه لدعاة الاسلام المدنيين وكبار شيوخهم وقادتهم ، أن يقابلوا وجهاً لوجه جماهير الأفارقة الوثنيين، ويجلبوها الى حظيرة الاسلام بالعشرات والمئات والألوف ...

ولقد جاء مقتل (أحمدو بللو) ذلك الداعية العظيم، بتلك الصورة الصليبية المفجعة ، في مطلع عام ١٩٦٦ ، إيذاناً بانتهاء عهد في حركة الاسلام، وبدء عهد جديد.. عهد يجب أن يتحرك الداعية المسلم فيه ، وهو على حذر تام من الأشراك والكمائن التي ينصبها أعداؤه في الطريق.. يتحرك وهو يحمل السلاح الذي يمنحه فرصة الدفاع والخلاص ، والانطلاق الى هدفه ثانية عندما ينقضّ عليه المهاجمون .

ثم إن التحرك الفردي ، الذي عرفته افريقيا في عهدها السابق ، مضى أوانه ، وغدا على الدعـاة أن يتحركوا جماعات ، وعلى ضوء خطوات محددة ومدروسة مسبقاً ، لكي يضمنوا الوصول الى اهدافهم ، والتصدي للمخططات المضادة التي تنتظرهم عبر الطريق « ولينصرنّ الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز » .

المحتويات